

ضحكةُ الأميرة

منفذون
مطابع الهنا الخرطوم بحري

يُحظر النقل والاقتباس
إلا بإذن من الناشر

الطبعة الأولى
2022م
حقوق الطبع محفوظة

رقم الايداع

2022/2116م

©ZAIN

قصص أطفال
ضحكة الأميرة

تأليف
نجيب كيالي

الناشر
الشركة السودانية للهاتف السيار
(زين)

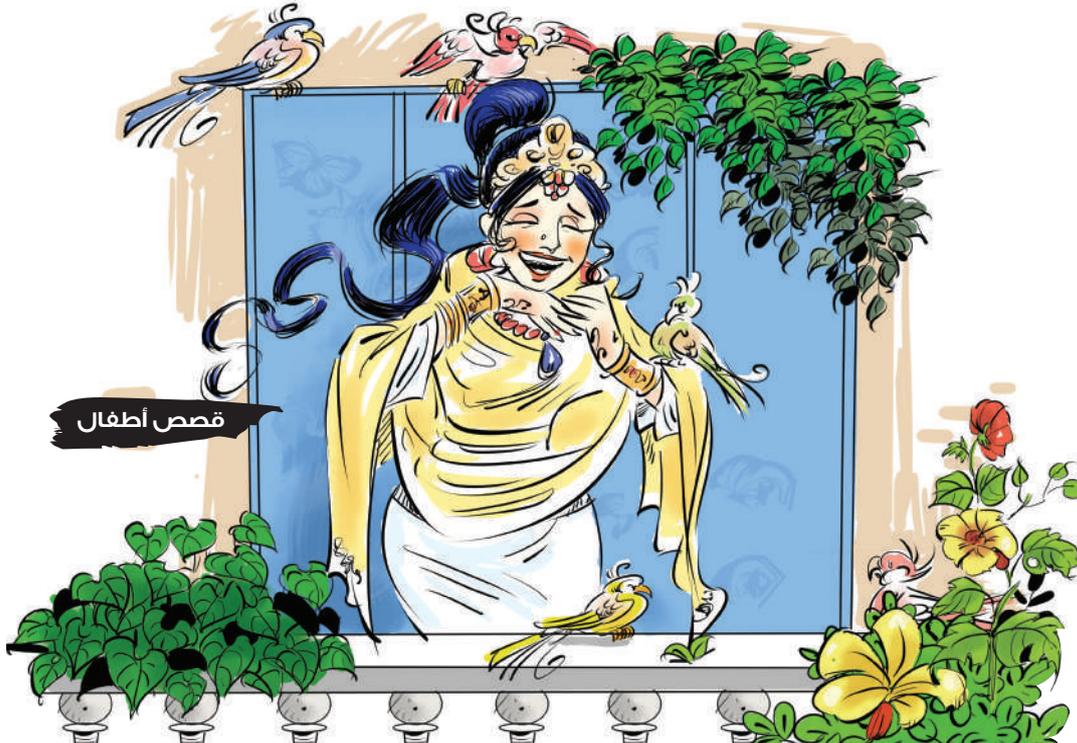
رسومات
سموأل عبد الباسط
تصميم
مظفر رمضان سعيد

zain

نجيب كيالي



ضحكة الأميرة



قصص أطفال

المحتوى

6 قصص عن الحرب، ووباء كورونا:
7 نشيطة والعصفور رَقَاف
15 مدخنة البيت
25 لوح للكتابة
35 قمرٌ يحبُّ الأغنيات
47 مِظَلَّةٌ رَشَا
54 قصص متنوعة:
55 لسانٌ مُعْظِطٌ بالشوكولا
63 الجوّال صَيَّاح
71 بطاقةُ المُعَايَدة
77 استقبالُ العمّة
85 هوايةٌ جديدة
93 شلهوب والبيض
101 شُدَا والفيل
107 ضحكةُ الأميرة

قصص عن الحرب، ووباء كورونا

نشيطهٔ والعصفورُ رَفَافٌ

تمدُّ الجَرَّافَةُ المسكينةُ (نشيطَةٌ) جُرْنَهَا الأماميَّةُ، تعملُ في رفعِ الحجارة.

الحربُ أتعَبَتْهَا كثيراً.

تتوقَّفُ بعدَ الانتهاء، يأتي عصفورٌ عابِراً يحطُّ على جُرْنِهَا.

العصفور: مرحباً.

الجَرَّافَةُ: أهلاً.

تحسُّ الجَرَّافَةُ بنعومةِ جسمِ العصفور، تسألُه:

- ما اسمُكَ؟

- اسمي: رَفَّافٌ.

- وأنتِ؟

- اسمي: نسيطةُ.

يتبادلانِ الشكوى من قسوةِ الحرب التي تجري في البلاد العربيّة، فالطائراتُ تقصف، والقذائفُ تنزل، والأبرياءُ المديّون يموتون! ومطلوبٌ من نسيطةَ أن تُزيلَ الأنقاضَ بسرعةٍ لإنقاذ المصابين. أمّا العصفورُ رَقَّاف، فقد خَسِرَ عَشَّهُ، وزوجتَهُ، وفراخَهُ عندما احترقتِ الشَّجرةُ التي بناه فيها. كان العصفورُ يومَ الحريقِ مغادراً يبحُثُ عن طعامٍ لزوجته العصفورة، ولأبنائه الفراخ! تطلبُ الجرّافَةُ منه أن يزورها كلَّ يومٍ ليخفّفَ عنها، وتخفّفَ عنه.

تضيفُ:

- ما رأيك أن أسميك: ولدي؟

يهتفُ بفرح:

- موافق، وأنتِ أُمي.

فجأةً تسقطُ قذيفةٌ في مكانٍ قريبٍ! فيرتفعُ الغبار، ويرتجفُ الاثنان.

تحاولُ الجَرَّافَةُ أن تطمئنَ على سلامةِ العصفورِ، فتَهْتَفُ:

- ولدي هل أنت بخير؟

يقولُ بصعوبةٍ منزعجاً من الغبار الذي دخلَ إلى صدره، ومنعَهُ من الرؤية:

- نعم، ومن أجلك يا أمي سأحاولُ أن لا أموت.

يغادرُ العصفورُ، بينما ترفعُ الجَرَّافَةُ جُرْنَهَا كيدينِ مُبتهلتين^(١) إلى السَّماءِ، وتدعو:

- يا ربُّ صار لي ولدٌ في زمنِ الحربِ فاحفظه لي.

بعدَ أيامٍ ينقطعُ العصفورُ عن زيارةِ أمِّه الجَرَّافَةِ! تقلقُ الجَرَّافَةُ نشيطةً كثيراً، يزدادُ غضبُها من الحربِ، وهي حربٌ قامَ بها الحكَّامُ ضدَّ شعوبِهِم، لأنَّها طالبتُ بحياةٍ أفضل! تشتدُّ نبضاتُ قلبها، ومع كل نبضةٍ سؤالٌ ودمعة: ماذا جرى لرفاف؟ صدري اشتاقَ إليه، جُرني متلهفٌ إلى لقائه.

تمرُّ غيمةٌ في السَّماءِ، فَتَحْمَلُها نشيطةٌ هذه الرسالة: أمانةٌ أيتها الغيمةُ النقيَّةُ أنتِ تتجولينَ في كل مكانٍ ابحثي لي عن ولدي رفاف.

في اليوم الثاني تعبرُ فوقَ الجَرَّافَةِ غيومٌ كثيرة، لكنَّها لا تأتي للجَرَّافَةِ نسيطةَ بأيِّ خبر!

تُحمَلُ الجَرَّافَةُ رسالتَها للشمس، ثمَّ للهواء، غيرَ أنها لا تظفرُ بأيِّ جواب!

تضطربُ نسيطةُ أثناءَ عملها في رفع الأنقاض، وتكادُ لا تقوى على إتمامه ذاتَ يومٍ، لكنَّ حبيبتها يطلُّ عندَ المساء، يلمسُ جُرنَها بمنقاره، وكأنَّه طفلٌ يُقبَلُ يدَ أمه. أمَّا هي فتَهتَزُّ بفرح، وتكادُ ترقص، يقول رَفَّاف:

- اضطررتُ للغيابِ عنكِ يا أمي. كان عندي مُهمة.

- مُهمة؟! -

- نعم.. بينما كنتُ قادمًا إليك في أحد الأيام رأيتُ بينَ الأشجار رجلاً وحماراً مرميينِ على التراب! كان يسيلُ منهما الدم! قلتُ لنفسي: فلاحٌ بريءٌ عائدٌ من بستانِهِ أصابته السُّظايا هو والحمار! لم أستطع أن أتركهما! وقفتُ على شجرة فوقهما فاستأنسا بي، ورجاني الفلاحُ بعينيه: لا تغادر أيتها العصفور. أنتَ من بقيَ لنا في هذه الدنيا! شقَّ الفلاحُ قميصَهُ وربطَ بقطعةٍ منه جرحَهُ، وبقطعةٍ أخرى ضمَّدَ جرحَ الحمار الكبير، رحَّتْ أطيْرُ

نحو الدروب القريبة لعلني أرى أحداً يساعدهما، وكلّما مرَّ إنسان كنتُ أطير فوق مكانهما بشكل دوراني لألفتَ نظره، فلم أنجح إلا بعد أربعة أيام. لحسن الحظ الفلاح معه بعضُ الطعام في خُرج الحمار، فراح يأكلُ منه وهو لا يقدر على الوقوف على رجليه. اليوم انتبه رجلان عابران لطيراني المتكرر بشكل دائري، فجاءا ونقلوا الفلاح، لكنَّ الحمار كان ميتاً!

ودّعني الفلاحُ بنظرةٍ رائعةٍ يا أمي، وتمتم:

- حفظتُ شكلكَ أيُّها العصفور، وسأصُفُّكَ لربي في جنّته ليكافئكَ بما تستحق.

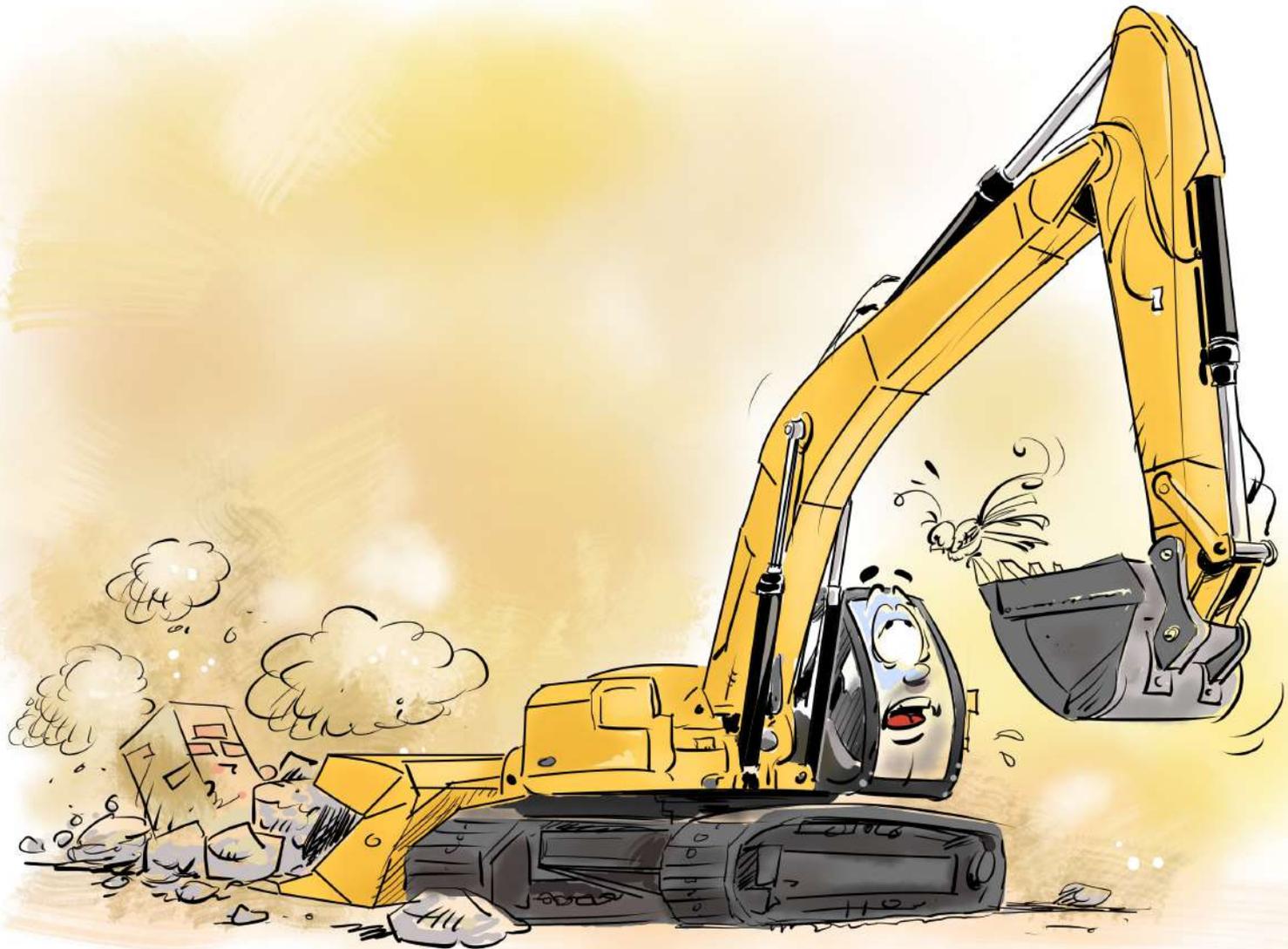
يخفقُ قلبُ نشيطة، وهي تستمع من رُفافي لما جرى معه، تقول وهي تغصُّ بدموع الفرح:

- رائع! الآن لم أعد متألّمةً من غيابك يا ولدي، بل صرتُ سعيدةً به.

تنظرُ إليه بفخر، ويهطلُ فوقهما من السّماء ياسمينٌ أبيض!

كلمات جديدة:

(١) مُبتهلتين: مرفوعتين تقومان بالدعاء.



مِذْخَنَةُ الْبَيْتِ

طَارَ عصفورٌ تحتَ رذاذِ الثلجِ.

حَمَلَهُ جَناحاهُ إلى جدارِ،

ثمَّ إلى شجرةٍ مُطلَّةٍ على سطحِ بيتِ.

من منقارهِ الصَّغيرِ خرَجَ صوتٌ ناعمٌ:

- بَرْد.

جاءَهُ صوتٌ من مِدخنةِ البيتِ:

- بَرْد.

اندهَسَ العصفورُ، مَدَّ رقبَتَهُ المُخْتَبِئَةَ في جَسَمِهِ، سألَهَا:

- مِدخنة. لا أُصدِّقُ أذني.. أنتِ أُمُّ الدفءِ، والحرارةُ تقولين: بَرْد؟!!

رَدَّتِ الْمِدْخَنَةَ:

- نعم أنا. بَدَد، أَخ، بَرَد.

وأضافت بعصبية:

- الظاهر أنك عصفورٌ غبيٌّ. ألا تراني بلا دُخَان؟!!

حَزِنَ العصفور حينَ نظرَ، فرأى أَنَّ الْمِدْخَنَةَ حقاً بلا دُخَان، ومعنى ذلك أَنَّ مدفأةَ البيتِ مطفأةٌ في هذا الشتاءِ القارس!

تذكَّرَ العصفورُ حكمةً تقول: الدفءُ في الشتاءِ أحلى فاكهة، وما رآه يدلُّ على أَنَّ أهلَ البيتِ محرومونَ من الفاكهةِ المذكورة!

تذكَّرَ أيضاً حكايةً رَوَّتها له أمُّه العصفورة، خلاصتها: أَنَّ المدافئَ في الشتاءِ يُصْبِحْنَ أمهاتٍ، حنائهنَّ ذلك الدفءُ يُوزَعُنَّهُ على أفرادِ الأسرة، ولاسيما على الأطفالِ.

كانَ العصفورُ قادماً من بلدٍ بعيد. أمضى ثلاثةَ أيَّامٍ وهو يطيرُ قليلاً، ويرتاحُ قليلاً. خُطَّ طيرانه

جاءَ نحوَ الشَّرْقِ.. صوبَ الشَّمْسِ الدافئة، لكنَّهُ عندما وصلَ وجدَ الشتاءَ ما يزالُ موجوداً، وقد تأخَّرتُ طلائعَ الرَّبيعِ..!

نسيَ العصفورُ تعبَهُ، وجوعَهُ، وعادَ إلى المِدْخنة يسألُها:

- أرجوكِ أيتها الطويلةُ النحيلةُ أخبريني.. ما سببُ انطفاءِ المدفأةِ في هذا البيتِ؟!

نفختِ المِدْخنةُ ما بقيَ في صدرها من هَبَابٍ⁽¹⁾ قديمٍ، فتناثرتْ من فمها رذاذُ أسودٍ، سقطَ فوقَ الثلجِ، صاحتُ:

- قلتُ لكِ من البداية: أنتِ غبيّةٌ. تسأليني: لماذا هي مطفأة؟! ألسَتِ من هذه المدينة؟!

شَرَحَ العصفورُ للمِدْخنةِ أَنَّهُ قادمٌ من بليدٍ آخرٍ، وهو لا يعرفُ عن هذه المدينةِ أيَّ شيءٍ. قالتِ المِدْخنة:

- إذن.. قبلَ أنْ أخبرَكَ بما تريدِ، قُمْ بجولةٍ فوقَ مدينتنا، وارجعِ إليّ.

قامَ العصفورُ بجولةٍ فوقَ المدينةِ، عادَ مُتعباً، مبللَ الجناحينِ، وفوقَ فمِهِ جملةٌ واحدةٌ مرعبة:

حرب! عندكم حرب؟!

أجابت المدخنة:

- نعم. حرب⁽²⁾ منذُ عشرِ سنواتٍ..!

الرصاُصُ اختلَطَ بالهواء!

بحباتِ المطر!

بأوراقِ الشجر..!

رائحةُ البارودِ خنقتِ الضحكات!

خنقتِ الأغنيات!

جاءَ البؤسُ إلى المدينة، فأخذَ من أيدي الأطفالِ الكراتِ التي يلعبونَ بها!

أخذَ الثورَ من المصابيح!

أخذَ حَتَّى أَرْغَفَةَ الخَبْزِ!! في جَوِّ كهذا هل تتعجَّبُ إذا كانت المدفأةُ مطفأةً؟
ذرفتِ المِدْخَنَةُ دَمْعَةً سوداءَ من فتحتها التي غَطَّى الثلجُ نصفَهَا. بينما انكمشَ العصفورُ حَتَّى
صارَ بحجمِ بيضة!

في تلك اللحظة دَوَّى صوتُ رصاص، تأوَّهت المِدْخَنَةُ، وتابعتُ:

- أمَّا الأُسْرَةُ التي تسكنُ هذا البيتَ، فهم مساكين.. هربوا من الناحية الغربية للمدينة
حين اشتدَّ فيها القتال، ولجؤوا إلى هذا الطرف الشرقي، ومنذُ يومين وِلَدَتِ الأمُ! مولودُتُها
ذابلة، شاحبة، شحوبُها يعلنُ لَمَنْ حولَها أنها بحاجةٌ ماسَّةٍ للدِّفءِ، ولكنْ أينَ هو؟

صمتت المِدْخَنَةُ قليلاً، بينما شَرَدَ العصفور. ماذا يمكنُهُ أن يفعلَ؟

* لو كانَ ريشُهُ نافعاً للمولودة لتخلَّى لها عنه.

* لو أنَّ الغيمةَ تستطيعُ أن تمطرَ غيرَ المطرِ والثلجِ لرجاها أن تمطرَ وَقوداً لتشعلَ به الأُسْرَةَ
مدفأتها.

جاء صوت المدخنة:

- البارحة خرج الأب يفتش عن وقود، وعاد مساءً بلا شيء! اليوم خرج أيضاً منذ الصباح..
وها نحن في وقت العصر، ولم يعد..!

طلبت المدخنة من العصفور أن يطير في الأفق، ويبحث عنه. إنه شابٌ انحنى أعلى ظهره، كأنه
شاح قبل الأوان، في يده صفيحة فارغة يريد ملأها بالوقود.

طار العصفور فوق حارات المدينة التي تهدم معظمها، فرأى شباناً كثيرين، انحنى ظهورهم،
وشاخوا قبل الأوان، وكلُّ منهم يحمل صفيحة فارغة من الوقود..!

رجع خائباً، وعندما أخبر المدخنة بما رأى نظر هو وهي إلى السماء، وراحا يدعوان بهذا الدعاء:

- اللهم قل لشمسك أن تظهر فوقنا، ولو في يوم فيه غيم، وتلج.

قل لبردك أن يرحل عن هذه المدينة من أجل المرتجفين بلا دفء.. من أجل مولودة عمرها
يومان. اللهم...

قطعتُ أصواتُ الرصاصِ دعاءَهما، امتلأاً بالغضب، راحَ كلُّ منهما يتساءل: كم شخصاً جُرِحَ
الآن؟ كم شخصاً قُتِل؟ كم...

دارَ العصفور في مكانِه، وهو يكادُ يُجنُّ، قال:

- لن أبقى متفرجاً، سأبحثُ عن عاصفٍرٍ أخرى، وسنذهبُ جميعاً إلى منطقةِ القتال،
وكَلِّمنا هدأتِ المعاركُ غرَدنا لنذكّرَ المحاربينَ بجمالِ السّلام، لعلهم يوقفونَ هذه الحربَ
اللثيمة.

كلمات جديدة:

(1) هَبّاب: مادة سوداء تتراكم في المداخل.

(2) هي الحرب الداخلية في سوريا التي بدأت عام 2011، ولم تتوقف.



لوْحٌ للكتابة

قبل الحربِ المؤسفةِ الجاريةِ في سوريا كان أيوبُ سعيداً بأمرٍ يقومُ به كلُّ صباح، هو الذهابُ إلى المدرسة.

أجملُ من مناظرِ الطريقِ

أحلى من مصافحةِ رفاقه

جملةٌ كان يقولها له الأستاذ:

- أيوب خُطِّكَ رائع.

في خدِّ الأستاذِ شامةٌ تضحكُ لأيوب، تهمس:

- لك مستقبلٌ كبير. ستصبحُ معلماً ذاتَ يوم، ولكَ شامةٌ أحلى مني.

بعدَ أن بدأتِ الحربُ لم يَعُدْ أيوبُ يسمعُ هذه الجملة!

الحرب- كما قيل- تكره المدارس، وأناشيد الصباح، وتعشق العنف والصخب والانفجارات،
لذلك مدّت الحرب يدها، وأغلقت باب مدرسته!

أخذ أيوبُ يسمعُ كلَّ صباح هَمْساً قادمًا من رؤوس أصابعه:
- أريدُ أن أكتب.

ثمَّ يرتفعُ الهمس، يصبحُ صراخاً، وضجراً، ونقراً عنيماً بالأصابع هنا وهناك!

في البداية فتح أيوبُ دفتره، وكتبَ بخطِّ رائع:

اشتقتُ إليك يا أستاذي.

اشتقتُ إليك يا مدرستي.

بعدَ الكتابة انتظرَ أن يسمعَ الجملةَ التي يحبُّها، لكنَّ الصوت لم يأتِ، والشامة اللطيفة لم
تظهر، ولم تهمس شيئاً!

في أحدِ الأيام سقطت قذيفةٌ في زاوية البيت، سلّمت الأسرة، بينما احترقت أشياء كثيرة، منها

الدفتر!

في اليوم الثاني بحثَ أيوبُ على السقيفة، فوجدَ لوحاً صغيراً كان يستعملُهُ أيامَ الروضة، وبجانبِهِ قلمٌ من الحجر، أخذَ اللوحَ بلهفة، كتبَ فوقَهُ:

احترقَ بيتنا بسببِ الحرب!

ماتتْ في قرينتنا أغنامٌ كثيرة!

أنا والأغنامُ نكرهُ الحرب.

بعدَ أيامٍ قليلة قامتِ الحربُ بعدوانٍ آخَرَ على بيتهم.. دخلَ المتحاربونَ إلى القرية بأسلحتهم الثقيلة، وتهاوى نصفُ البيت!

فَرَّتِ الأُسرةُ من المكانِ دونَ أحذية! أمَّا لوحُ الكتابةِ المسكينِ فظَلَّ تحتَ الرُّكامِ، ولا بدَّ أنه تمنى أن يغادرَ القريةَ برفقةِ أيوب.

- أريدُ أن أكتب. ألا تسمع؟ أريدُ أن أكتب.

عادتُ أصابعُهُ تناديه، تُلحُّ عليه بعدَ أنْ سكنوا في خيمة.
نداؤها أصبحَ أكثرَ ارتفاعاً من السابق، أكثرَ حُرقةً! لقد مرَّ شهرٌ كامل، والأصابعُ لم تكتبَ أيَّ حرف!

تذكَّرَ أيوبُ خبراً عجبياً سمعهُ في المدرسة أنَّ الإنسانَ قديماً كان يكتبُ على جلودِ الحيوانات،
وعلى ورقِ الشجر. هل يمكنه أنْ يفعلَ ذلك؟ مستحيل.
شوقُ الطفلِ للكتابة يزداد، وعنْفُ الحربِ يزداد! خَطَرَ لأيوب أنَّ الحربَ مخلوقٌ مجنونٌ أحمق..
ذلك الكائنُ يضربُ، ويكسِرُ كلَّ شيءٍ حوله! يزعقُ ويؤمجر، ولا يمنحُ الناسَ لحظةً هدوءاً!

آه.. كم هو بحاجةٍ إلى الهدوء!

رأسُه يقولُ له: أنا مُتعب.

جسمُه يقولُ له أيضاً: أنا مُتعب.

قلْبُه يصرخُ: مُتعب، مُتعب.

كانت المعاركُ في ذلك اليوم قد بدأت عندَ الفجر، جاءَ الظُّهُرُ، ومن بعدِهِ العصر ولم تتوقف!
فجأةً عندَ السادسة مساءً انخفضَ صوتُ المعركة، ثمّ تلاشى!
أغمضَ أيوبُ عينيه بارتياح، ثمّ فَتَحَهما، ثمّ أغمضَهما طويلاً.
شعرَ الطفلُ في تلكَ اللحظة أنّ الهدوءَ صفحةٌ ملساء، صفحةٌ رائعة!
ربّاه.. إنه يشبهُ مرآةَ البيت التي يرى فيها وجهَهُ، بل يشبهُ لوحَ المدرسة! نعم. لوحَ المدرسة!
ولكنّ.. هل يمكنُ أن يكتبَ عليه؟
ضحكَ أيوب من فكرتهِ الغريبة.
في اليوم التالي انهالتِ الصواريخُ على قريةٍ قريبة، ذهبَ معَ أبيه لمساعدةِ المصابين، فرأى
بيوتاً أكلتها النار!
المنظرُ مؤلم، لكنّه عَثَرَ فجأةً على لوحٍ للكتابة!
اللوحُ قطعةٌ خشبيةٌ بقيتْ سالمةً من باب!

التقطها بشوق، ومن قطعة خشبٍ أخرى مُتفحّمة صار لديه ما يشبه القلم!

اصطحب القطعتين معهُ إلى الخيمة، وهناك كتب هذه الجملة:

الحربُ أقسى أمرٍ عرّفهُ الإنسان.

خلال أيام صار اللوح العجيبُ مألوفاً عندَ الطفل، يمسحُ ما يكتبهُ عليه بخرقة، أو يغسلهُ، وينتظرهُ حتى يجفّ ليكتبَ عليه شيئاً جديداً.

لم يَعدُ يستعملهُ للكتابة فقط، بل راح يرسمُ فوقهُ أيضاً، ومن رسوماته..

لوحةً لبيتهم الذي هربوا منه.

لوحةً لطفلٍ قطعتِ الحربُ يدَهُ، فرسمَ له يداً جديدة، يحملها إليه ملاك!

ذاتَ مساء ظهرَ طيفُ الأستاذِ وعلى وجهه شامتُهُ بجانبِ اللوح، أبدى إعجابَهُ بخطِ أيوب، ورسوماته، ثمّ قال لتلميذه:

- لن تكتملَ فرحتي يا أيوب إلا إذا وجدْتُكَ تعودَ لصفك، ومقعدك بعد أن تتوقّف هذه

الحربُ اللئيمة.

- ومتى تتوقَّفُ الحرب يا أستاذ؟!

بعد صميتِ قال الأستاذ:

- ستوقَّفُ هذه الحرب، وكلُّ حروب الدنيا حين يحكمُ الأطفالُ العالم.

تساءلَ أيوبٌ مدهوشاً:

- نحن نحكمُ العالم؟

- أعني.. تحتفظون بطفولتكم وبراءتها عندما تكبرون، وحين يصبح بعضكم حكماً يتعاملون مع الدنيا بلغة الخير والمحبة، فإذا غضبوا يغضبون بضغ دقائق، ثم يضحكون.. يضحكون، وإذا رأوا شيئاً جميلاً عند إنسان أو في بلدٍ آخر لم يفكروا في قتاله وسرقته منه، وإنما هنأوه به، وآلفوا من أجله أغنيةً عذبة ترنموا بها كما تترنم العصافيرُ بألحانها عند قدوم الربيع!



قمرٌ يحبُّ الأغنيات

كان القمرُ بَدُورٌ جميلاً، باسمًا، يحبُّ الأصواتَ العذبةَ، والأغنيات.

نعمةٌ (تري لي لم) واحدةٌ تجعلُهُ يفرحُ، يتمايلُ، يَطربُ، ومعَ تمايله ترقصُ صورتهُ في الساقية.

كانت لديه قناعةٌ: لا يُغني إلا السُّعداءُ، وهو يتمنى أن يرى المخلوقاتِ كلَّها سعيدة.

لذلك إذا قال له عصفورٌ: إنَّه سعيدٌ فلا يُصدِّقه إلا إذا غنى.

وإذا كان هناك مخلوقٌ حزينٌ قامَ بمواساته، ثمَّ طلبَ منه أن يُغني.

عندَ قدومِ الليلِ كان أصدقاؤه ينتظرونَ ظهورَهُ بشوقٍ، وهم: مخلوقاتُ الطبيعة كالسماءِ، وساقيةِ الماءِ، والأزهارِ التي حولها، وهواءِ الليلِ، ورؤوسِ الأشجارِ. وحينَ يظهرُ يهتفُ الجميعُ:

- مرحباً أو أهلاً.. أهلاً.

ذاتَ يومٍ فكَّرَ أصدقاءُ القمرِ في تكريمِهِ، ومَنحه لقباً جميلاً هو: الأميرُ السَّماويُّ بَدُور.

اعترضتُ في الحال النَّجْمَةَ شَعْشُوعَةً، وهي نَجْمَةٌ قَوِيَّةُ الضَّوْءِ، قالت:
- ولماذا تُكْرِمُونَهُ؟! أنا أحلى منه، لي أطرافٌ متلألئةٌ، وليس له مثلها.
وأضافتُ:

- إِنَّهُ مُدَوَّرٌ كَصَحْنٍ. هل ستجعلونَ من الصَّحْنِ أميراً سَمَويّاً؟!
ضحكتُ بسخريّةٍ حَتَّى كَادَتْ تَسْقُطُ من مكانها!
قالتِ السَّمَاءُ:

- سنكْرِمُهُ لا لجمالهِ، بل لأنَّهُ قَمَرٌ طَيِّبٌ، نافِعٌ للجميع.
بدأ أصدقاءُ القمرِ يذكرونَ نماذجَ من أفعاله، قال هواءُ الليل:
- ذاتَ يومٍ كان الجوّ بارداً، وكنتُ أَلْعُبُ قُرْبَ نافِذَةِ يَنَامُ تحتها أطفالٌ صغارٌ دونَ غطاءٍ،
فطلبَ مني أن أبتعدَ عن النافذة.

وقالت زهرة الخُزامى (1):

- كانت قُرْبِي مرَّةً سُلْحَفَاءُ منقلبةً على ظهرها، وتكادُ تموتُ من الجوع، فأوصاني أن أُبَّه
الكلبَ ليصحَّحَ وضعَهَا.

وقالت ساقيةُ الماءِ:

- منذُ سنواتٍ كانت على مسافةٍ قريبةٍ مني أرضُ جرداءُ، فأغراني بسقايتها بالماء، ولمَّا سقيتها
جاءَ فلاحٌ، فزرَعَهَا، فامتلاَّتْ بالنبات، وانطلقتُ منها أغنياتُ العصافيرِ، والضفادعِ!
لم تُغَيِّرْ شَعْشُوعَهُ موقِفَهَا من القمرِ رَغَمَ ما سمَعْتُهُ عنه، وأعلنتُ أَنَّهَا ستُخَرَّبُ أَيَّ احتفاليةٍ
يقيمونها لتكريمه!

عبَّرَ أصدقاءُ القمرِ عن غضبيهم، وخرجتُ منهم هذه الأصواتُ:

- أمركِ غريبٌ يا شَعْشُوعَةَ!

- هذا حقد.

- هذه أنانية.

كان الفصلُ ربيعاً، والقمرُ بَدُورٌ يزدادُ جمالاً، ويزدادُ فرحاً كلُّما سمِعَ أغنيةً أو مؤالاً قادمًا من المدينةِ القريبة. من الأغنياتِ التي أحبَّها كثيراً أغنيةٌ قدَّمَتها طفلةٌ لجدَّتِها، وصلتْ إليه من نافذتهما المفتوحة:

(وجدتني أحبُّها
أحلى القلوبِ قلبُها
بسمتها من سُكَّر
دامت، ودامَ عذبُها).

وأغنيةٌ أخرى غناها عددٌ من الأطفالِ للعصفورةِ الملونةِ التي تنامُ على شُبَّاكهم:

(نامي.. نامي يا عصفوره
فوقِ فراشٍ من أعشابٍ
يُهديكِ الصبحُ غداً نورَه
وتُعني الدنيا للأصحاب).

وأغنيةٌ ثالثةٌ يُنشدُها طفلٌ لأبيه العائدِ من العملِ في وقتٍ متأخراً:

(بابا.. بابا كَفُّكَ نِعْمَهُ
صَوْتُكَ عِنْدِي أَحلى نِعْمَهُ
عُدَّتْ، فعَادَ الفَرْحُ الأَكْبَرُ
ضحكتُ فوقَ البَيْتِ النَّجْمِ).

معَ استمتاعِ القمرِ بعذوبةِ الغناء، وما يصحُّه أحياناً من تصفيقٍ، وضحكاتٍ كان يفكّرُ في جمالِ الكلماتِ التي يسمَعُها، فيرتفعُ مستوى السُّرورِ لديه.

فجأةً جرى أمرٌ غريبٌ! تغيَّرَ مزاجُ قمرنا الطيبِ بَدُور.. تغيَّرَ بصورةٍ كبيرة! فابتسامتهُ نقصَ نصفها، بل اختفتُ أحياناً! ولم يَعدْ يهتمُّ بالأغنياتِ أو يطربُّ أو يتمايلُ! وقالتُ عنه شَعْشُوعَةٌ: إِنَّه شاحبٌ⁽²⁾، كثيرُ الشرودِ لا يستحقُّ أن يُسمَى قمرًا، فكيف سيُكرِّمونه؟!

في الحقيقة كان هناك سببٌ لما أصابَ القمر.. سببٌ هامٌّ عرفه أصدقاؤه، وقد حلَّ بهم⁽³⁾ ما حلَّ به من حزن. أمّا شَعْشُوعَةٌ فلم تنتبه إلى السببِ المذكور، لأنَّها مشغولةٌ بالتنافسِ مع بَدُور

وَالْغَيْرَةِ مِنْهُ، فَكَأَنَّهَا لَمْ تَعُدْ تَرَى سِوَاهُ!

فِي الْمَدِينَةِ الْقَرِيبَةِ قَامَتْ حَرْبٌ مَفَاجِئَةٌ.. حَرْبٌ قَاسِيَةٌ كَثُرَ فِيهَا الرَّصَاصُ وَالْخَوْفُ، وَارْتَجَفَتِ
الْبُيُوتُ وَالْقُلُوبُ! تَحَطَّمَتْ أَرَاجِيحُ الْأَطْفَالِ، وَأَغْلَقَتْ مَدَارِسُهُمْ، وَغَابَتِ الضَّحَكَاتُ عَنْ وُجُوهِهِمْ!
الْقَطْطُ الْجَمِيلَةُ ذَاتُ الْمَوَاءِ اللَّطِيفِ مَاتَ بَعْضُهَا، وَبَعْضُهَا اخْتَبَأَ فِي الْخِرَابِ! أَسْرَابُ الْعَصَافِيرِ
صَارَتْ لَا تَمُرُّ مِنْ هُنَاكَ، لِأَنَّ الدُّخَانَ يَخْنُقُهَا!

كَانَ الْقَمَرُ يَظْهَرُ أَكْثَرَ مِنْ عِشْرِينَ يَوْمًا فِي الشَّهْرِ، يَكُونُ فِيهَا هِلَالًا، وَنِصْفَ بَدْرٍ، وَبَدْرًا، ثُمَّ يَصْغُرُ،
وَيَتَلَاشَى ⁽⁴⁾ فِي بَقِيَّةِ الْأَيَّامِ، فَقَالَ مَرَّةً وَهُوَ فِي قُبَّةِ السَّمَاءِ:

- آه.. لِيَتَنِي أَبْقَى مُشْرِقًا، مُنِيرًا، لَا أُغَيَّبُ أَبَدًا.

لَمَّا سَمِعَتْ شَعْشُوعَةَ قَوْلِهِ هَتَفَتْ:

- بَدُّورَ فَقَدَ عَقْلَهُ. هَلْ يَوجَدُ قَمَرٌ لَا يَغِيَّبُ أَبَدًا!؟

وَرَا حَتَّ تَرَدَّدَ:

- قمرٌ مغرور.. قمرٌ مجنون!

لم يكنْ بَدُورٌ مغروراً أبداً، بل كانَ صاحبَ شعورٍ نبيل، فقد آلمَهُ الظَّلامُ الذي صارَ يُغْطِّي
المدينةَ ليلاً بسببِ الحرب، حيثُ انقطعتِ الكهرباءُ، وباتَ كلُّ شيءٍ صعباً.

تمنَّى بَدُورٌ أَنْ لا يغيَّبَ أبداً ليوفِّرَ النُّورَ هناك، بل تمنَّى أن يصبحَ ألفَ قمرٍ أو ألفين بعددِ بيوتِ
المدينة ليوزِّعَ نفسَهُ على تلك البيوتِ، فيحظى⁽⁵⁾ كلُّ بيتٍ بقمرٍ خاصٍ يغمِّره بالضوء.

كان يمتلئُ بالحزن وهو يتصوَّرُ أحوالَ الناسِ في العتمة:

طفلٌ يتعثَّرُ في الظَّلام!

أمٌّ تذهبُ إلى المطبخ كي تأتي لطفلها بزجاجةِ الحليب، فتأتي بزجاجةٍ أخرى!

عجوزٌ يريدُ أن يذهبَ إلى سريرهِ، فيسقطُ على وجههِ!

لَمَّا ضاعفتُ شَعْشُوعَةً من انتقادها للقمر ذهبَ إليها هواءُ الليل، وشرَحَ لها أَنَّ ما أصابَ بَدُوراً
من تغيُّرٍ كان بسببِ الحربِ التي اشتعلتْ في المدينة القريبة.

لم تقتنع شَعشوعَةٌ في البداية، لكنّها أخذتْ تسخر، فهي لا تعرفُ معنى الحرب أبداً، قالت:

- حرب؟! وما هذا الموضوعُ التافه حتى يتغيَّر بدورٌ بسببه؟!

تأوّه عندئذٍ هواءُ الليل، قال وكأنَّ قلبه يحترق:

- الحربُ يا شَعشوعَةٌ أمرٌ مخيفٌ، مُدمِّرٌ، سأقربُ الأمرَ لذهنك فأقول: لو جرتْ حربٌ في السَّماءِ مثلاً لاصطدمتِ النجومُ بالكواكب، والكواكبُ بالنجوم! لا سمحَ الله، وبدلاً من الأضواءِ الجميلةِ هنا وهناك ستظهرُ نارٌ حمراءٌ وضجيج! وفي النهاية سيحلُّ الظلام، فلا تعرفينَ أينَ أنتِ يا نجمتي الحلوة! هذا الشيءُ الفظيع: (الحرب) جرى في المدينة القريية، وهو ما أثارَ في بدورٍ كثيراً. إنه ينفذُ من الحروبِ وويلاتها، ويحبُّ النورَ والسَّلامَ، وعملَ الخير، وقد بذلَ كلَّ ما يستطيعُ لتقديم ضيائه للمحتاجينَ إليه.

تأثرتْ شَعشوعَةٌ حينئذٍ، ارتجفتُ، وسقطتْ على خدّها دموعٌ من نور، بل إنَّها تمَنَّتْ لو تستطيعُ أنْ تنخفضَ من مكانها المرتفع في السَّماءِ إلى مكانٍ قريبٍ فوقَ المدينةِ كي تساعدَ القمرَ في إبعادِ الظُّلْمَةِ عنها، وعن سگانها المساكين.

حينَ جاءَ موعدُ التكريمِ رَفَضَ القمَرُ بَدْوَرِ أَنْ يُكْرَمَ إِلَّا حينَ تَنتهِي الحَرْبِ، فيذْهَبُ الحزنُ عَن
الجمِيعِ، ويشاركُ الأطفَالُ فِي الاحتفَالِيَّةِ، فلا طعمَ للفرحِ إِذَا لم يسمَعِ ضحكَاتِهِم وَأغنيَاتِهِم. إنه
يتصَوَّرُهُم قادمينَ فِي يومِ قَريبٍ ليغْنُوا للسلامِ هذِهِ الأغنيةُ:

الوردُ سَلامٌ الحَبُّ سَلامٌ
شَدُوٌّ⁽⁶⁾، ووِئَامٌ⁽⁷⁾ والأفُقُ سَنا
ورفيْفُ حَمَامٍ⁽⁸⁾

كلمات جديدة:

- (1) الحُزَامِي: نباتٌ له أزهار بنفسجية اللون.
- (2) شاحِب: أصفر اللون.
- (3) حلَّ بِهِم: أصابهم.
- (4) يتلاشَى: يختفي تدريجياً.
- (5) يحظى: ينال أو يحصل على.
- (6) شَدُو: غناء.
- (7) وِئَام: ألفة، ومودة.
- (8) سَنا: نور.



مِظَلَّةٌ رَشَا

بينَ رَشَا وبينَ مظلَّتْها علاقةٌ جميلة. المظلَّةُ خضراءُ، مرسومٌ على قماشها عددٌ من الأزهار الملونة، تفتحها رَشَا فوقَ رأسِها عندَ انهماكِ المطر، فتغطِّيها المظلَّةُ بحنانِ كحنانِ الأمهات. أمَّا رَشَا فتمشي بمظلَّتْها تارةً، وتقفز تارةً، وترقصُ عندَ اقترابها من بيتهم ليراها أبواها من وراءِ الزجاج، فيلوحا لها. معَ الرقصِ تُغني رَشَا:

أهوى المطرا
حلواً هظلاً

في هذه السَّنة جاءَ الشتاء، والمظلَّةُ تشتاقُ للخروج، لكنَّ رَشَا مريضةٌ بالكورونا⁽¹⁾، وسعالها يملأُ البيت!

تمتِ المظلَّةُ المركونة⁽²⁾ في زاويةِ الغرفة: اشفيها يا رب. رَشَا بنتٌ طيبة.
دميةُ رَشَا وزووا تمتت أيضاً: اشفيها يا رب.

في غرفة رَشَا دميَّ أخرى: النَّمِرُ عنتر، والدبُّ عنيف، والزَّرَافَةُ لبيبة. اجتمعتِ الدُّمى كُلُّها،
وتساءلتُ: ماذا نفعلُ لمساعدةِ صديقتنا؟

قالت الزَّرَافَةُ لبيبة: انتبهوا.. أولاً لا يجوز الاقترابُ منها حتَّى لا تنتقلَ إلينا العدوى. وأضافت: أنا
سأراقبُ وجهها مستفيدةً من رقبتَي الطويلة، وأعلِّمُكم عن حالها.

صاح النَّمِرُ عنتر مُكشِّراً: عدوى؟! ما هذا الكلامُ الفارغ؟! أرى أن نضغطُ على قدميها ليخرجَ
المرضُ من أنفها، فإذا خرجَ هجمتُ عليه، وافترسته⁽³⁾.

قال الدبُّ عنيف: لا. إذا خرج المرضُ أنا أدوسُ عليه بأقدامِي الثقيلةِ ليموتَ في الحال.

ابتسمتِ المظَلَّةُ التي تسمع الحوار، قالت: فكرةٌ مضحكةٌ أيُّها النمر، فالمرضُ لا يخرجُ بالضغط
على الأقدام، وما قالته الزرَافَةُ صحيح.. لا يجوز لأحدٍ منكم أن يلمسَ رَشَا حتَّى لا تنتقلَ إليه
العدوى.

هتف النَّمِرُ: عدوى.. عدوى أيُّ عدوى؟! وهل يجروُ المرضُ على الاقترابِ مني؟!

أجابت المظَلَّةُ: المرضُ يقتربُ حتَّى من الأقوياء.. لذلك يجبُ الحذرُ منه.

ضحك النمر قائلاً: يا لك من مظلة جبانة. تريدنا أن نخاف جميعاً من كورونا؟!
ثم راح يُغني:

لا أبالي.. لا أبالي
باحترقانٍ أو سعالٍ
شاربي سيفٍ قويٍّ
عضلاتي كالجبالِ

استطاع النمر أن يُؤثر على الجميع، فاستخفوا⁽⁴⁾ بموضوع العدوى!

بعد مرور أسبوعين كان من المتوقع أن تتحسن رشا، لكن حالتها زادت سوءاً مع أن الأبوين يُقدّمان لها رعاية جيدة، ولا يقتربان منها إلا بعد وضع الكمّات على الوجه!

فكّرت المظلة: في الأمر سرّ. ثم راقبت ما يجري، فاكتشفتُ أمراً سيئاً أو سيئاً للغاية.. كان النمر يُهرّب لرشا بعض أكياس البطاطا الحادة التي تحبها، مع أن الطبيب منع عنها ذلك! ثم جرى ما هو أسوأ أخذ النمر يسعل! مع سعاله انتشرت الحرارة في جسمه، فإذا به يرتعش، ويخاف،

ويستعطف⁽⁵⁾ الجميع:

- ساعدوني يا أصدقاء. أرجوكم. الظاهر أنّ كورونا القاسي.. كورونا الشرير وصلَ إليّ!

قالت المظلة: وأين قوة عضلاتك وشاربيك أيّها النمر؟! سخرت مني عندما حذرتكم!

نظرَ النمرُ إلى الأرض بخجل، بينما حظيت المظلة بنظرة احترام من الجميع، فسألها أحدهم:
بماذا تنصحينا يا صديقتنا المظلة؟

- عليكم جميعاً أن تردوا الكمّاتِ الطبيّة دون تأخير.

قال الدب عنيف: كمّات؟! ومن أين نأتي بها؟

قالت الدميّة زوزو: هناك علبةٌ كبيرةٌ منها فوق الطاولة، وسأوزّع واحدةً لكل منكم.

لبسَ الجميع كمّاتهم، وبعضهم قام بتصغيرها لتناسب حجمَ وجهه، كذلك قاموا بعزل النمر في أحد جوانب الغرفة حتّى لا ينقل العدوى لغيره، وقد توقف هذا النمر عن تهريب البطاطا الحادة لرشا، فإذا بها تتماثل للشفاء، ثمّ شفي النمر نفسه!

بعد أن عادتِ العافيةُ لرشا اعترفتُ بخطئها في مخالفةِ كلامِ الطبيب، ثمَّ حملتُ مظلَّتها،
وخرجتُ في يومِ ماطر، رقصتُ بمرح، وكلُّ الدنيا تقول لها:
- حمداً لله على السلامة.

كلمات جديدة:

- (1) كورونا: مرض يجب فيه عزل المريض، وارتداء الكمامة عند الاقتراب منه.
- (2) مركونة: مسنودة في زاوية.
- (3) افترسيته: قتلته، وأكلته.
- (4) استخفوا: تعاملوا مع الأمر بعدم اهتمام.
- (5) يستعطف: يطلب من الآخرين أن يعطفوا عليه.



قصص متنوعة

لسانُ مُغَطَّسٌ بالشُّوكولا

أكثر ما تحبُّه (مَاسَةٌ) في جدِّها يدُّه التي تحملُ مسبحةً بيضاء، حَبَّاتُها تدورُ بينَ أصابعِه
كقطارٍ صغير، وطاقيتُهُ الصوفيَّة التي تسحبُها عن رأسه لتضعها على رأسها قائلة:

هيبه انظروا. أنا جدُّو..!

تقصد أنها بعدَ أن لبستِ الطاقيةَ صارتُ هي الجدِّ.

تحبُّ أيضاً ظهره الذي تقفزُ إليه طالبةً منه أن يركضَ بها في غرفِ البيت مُغْنِيًا:

(عندي خروف⁽¹⁾)

عندي خروف

وله صوف

أجملُ صوف

يلعبُ قُزِّي

يركبُ ظهري

عندي خروفٌ
عندي خروفٌ).

هذه الأغنية من تأليف الجدّ، وقد ألّف لها أغنياتٍ كثيرةً في اللّعبِ..
ومحبّةِ الموسيقى..

وجمالِ البساتين التي خلقها الله.

أمّا الجدُّ فيحبُّ في حفيدته كلّ ما فيها، لكنه مُعجَبٌ بصورةٍ خاصةٍ بلسانها.. نعم لسانها.
اللسانُ سمكةٌ صغيرةٌ تمُدُّه (ماسة) حينَ تأكلُ الشوكولا.

تقومُ الطفلةُ أيضاً بتريقيصِ لسانها.. معَ كلمة: (هَمْ.. هَمْ) تعبيراً عن لذتها وفرحتها.
حينَ يكونُ الجدُّ رائقاً، باسماءٍ تضيفُ الطفلةُ شيئاً آخر، فتقتربُ بلسانها من الجد، وتبتعدُ قائلةً
بعينها: أَمِسْكُهُ إنِ استطعت.

اصطحبَ الجدُّ حفيدتهُ إلى حديقةِ المدينة ذاتَ يوم، فضاعتُ الحفيدةُ هناك!

سَخَنَ جَبِينُ الْجَدِّ!..

تَلَفَّتْ يَمِينًا وَيَسَارًا،

ثُمَّ أَخَذَ يَرْكُضُ فِي الرَّحْمَةِ بَاحِثًا عَنْهَا!

اشْتَدَّ لَهَاثُهُ بَعْدَ دَقَائِقٍ، فَلَمْ يَعْذُ قَادِرًا عَلَى الْكَلَامِ!

أَوْقَفَهُ رِجَالٌ وَنِسَاءٌ مِمَّنْ رَأَوْهُ، يَسْأَلُونَهُ عَمَّا بِهِ، فَرَدَّ عَلَيْهِمْ بِإِشَارَاتٍ مُبْهِمَةٍ مِنْ يَدَيْهِ.

الإشاراتُ حاولَ بها أنْ يرسمَ لساناً ممدوداً لطفلة تَأْكُلُ الشوكولا.

ابتعدوا عنه ظناً منهم بأنه مجنون.

غَادَرَ الْجَدُّ الْحَدِيقَةَ، جَلَسَ حَزِينًا، مُتَعَبًا عَلَى الرَّصِيفِ، وَمَعَ دَقَّاتُ قَلْبِهِ الْمُرْتَفِعَةَ أَخَذَ يَحَادِثُ نَفْسَهُ:

(معقول ضاعتْ مَاسَةٌ كَتَكُوَّتُهُ الْحَلْوَةَ، أَغْلَى جَوْهَرَةٍ فِي حَيَاتِهِ!..

ضَحِكَاتُهَا الْبَرِيئَةَ مِنْدِيلٌ يَمْسَحُ الْأَلَمَ عَنْ أَيَامِهِ.

نقراتُ حذائِها على الأرضِ أَعذِبُ موسيقا تصلُ إلى أذنيه.

صورتُها قُربَ سريرِهِ مؤنسُتُهُ وصديقُتُهُ، حينَ يأتي للنومِ تهمسُ له: تصبحِ على خير، وحينَ يستيقظُ تبادرُهُ قائلة: صباحِ الورد.

بدونها هل يأتي صباحُ أو مساء؟!)

أدخلَ الجُدُّ يدَهُ إلى جيبهِ، أخرجَ شيئاً عزيزاً على قلبهِ.. إنه قِطْعٌ من الشوكولا بقيتُ هناك..

بَسَطَ⁽²⁾ القِطْعَ فوقَ البلاطِ، وبها رسمَ وجهَ ماسة، لكنَّ الوجهَ بدا خالياً من الفرح!

زادَ حزنُهُ، فتصوّرَ آلافاً من قِطْعِ الشوكولا تهربُ من دكاكينِ الباعة، ترمي نفسها في البريةَ أسفاً على ضياعِ ماسة.

فجأةً زقزقَ عصفورٌ في الجو، دارَ فوقَ رأسهِ، كأنه يحملُ إليه رسالة، ثمَّ طار ببطءٍ في الأفق!

وجدَ الجُدُّ نفسَهُ ينهضُ مأخوذاً⁽³⁾، ويتبعُ العصفور.

أعادَهُ العصفورُ إلى الحديقة، وهناك كانت مفاجأةً كبيرة..

رأى ذلك الجدُّ رساماً مَرِحاً يَقِفُ أُمَامَ مجموعةِ أطفالٍ في زاوية المكان.

بينَ الأطفالِ ظهرتِ الحفيدة..!

الرسامُ يقومُ برسمِ وجوهِ الصغارِ وهو يرقصُ ويغني!

مسحَ الجدُّ العرقَ عن جبينه، تنهَّدَ بارتياحٍ، احتضنَ حفيدتهُ وقد فهمَ ما جرى لها..

كانت الصغيرةُ تسيِّرُ بجانبه، وهو شارداً يتأملُ جمالَ الحديقة. منظرُ الرسامِ والصغارِ خطفَ عينيها، فابتعدتُ عنه، وانضممتُ إليهم.

انتبهَ الرسامُ أخيراً للجد، فقدَّمَ له لوحَةً لوجه مَاسَةٍ وهي تَمُدُّ لسانها المغطَّسَ بالشوكولا. أمَّا الجدُّ فضحكَ بعينينِ دامعتين، ومدَّ يدهُ للرسامِ بآخرِ قطعةٍ من الشوكولا بقيتُ في جيبه.

كلمات جديدة:

(1) المقصود بالخروف: ماسة حفيدة الجد.

(2) بَسَطَ الشيءَ: مَدَّهُ، ونَشَرَهُ.

(3) ينهض مأخوذاً: يقوم بلا إرادة كأنه مسحور.



الجَوَّالُ صَيَّاحٌ

اشترت الأمُّ لولدها هاني جَوَّالاً بمناسبةِ عيدِ ميلادِهِ الحادي عشرَ، وهو ولدٌ وحيدٌ، أبوه ميتٌ منذُ عامين.

ما كادَ هاني يفتحَ الجَوَّالَ، ويدخلُ إلى قسمِ الألعابِ حتَّى اتسعتْ عيناهُ، وغرِقَ في لعبةِ سباقِ الأرانِبِ ساعاتٍ طويلةً!

نادتُه أمُّه إلى الغداءِ، فتركَ الجَوَّالَ في غرفَتِهِ، وأكلَ بسرعةٍ، ثمَّ وثبَ فجأةً كمجنون! سألتُه أمُّه:

- إلى أينَ؟ ألا تشربُ الشايَ بعدَ الغداءِ؟

ردَّ وعيناهُ زائغتان:

- صيَّاح يناديني. أقصدَ الجَوَّالَ يا أمي. أنا سمَّيتُه كذلك.

واندفعَ نحوَ غرفَتِهِ كسهمٍ، بينما ابتسمتِ الأمُّ ظنّاً منها أنَّ الفرحَةَ جعلتْ ولدَها يتوهَّمُ أنَّ للجَوَّالِ صوتاً، وغداً أو بعدَهُ سينسى ذلك، لكنَّ هاني كرَّرَ الحديثَ عن الصوتِ أكثرَ من مرَّةٍ، فرفعتِ الأمُّ حاجبيها متعجِّبةً! ردَّ هاني: اسمعي. فتحتُ أمُّه أذنيها، فلم تسمعْ شيئاً. أمَّا هاني

المحبُّ لجوّالِهِ فسمعه يُغني:

أنا الجوّالُ.. أنا الجوّالُ
لديّ.. لديّ كنزُ جمالٍ
مَسْرَاتٌ، وفرفشةُ
فيا طفلي تعال.. تعال

قالت الأمُّ بأسف:

- اشتريتُ لك الجوّال لتتسلّى قليلاً، وتستخدمه في أمورٍ نافعة، لا لتضيّع عقلك!

لم يأبه هاني بتنبيه والدته، فزادَ وَلَعُهُ⁽¹⁾ بجوّاله صيَّاح، حتّى صار ينسى قُبلة الصّباح يطبّعها على خدّ أمه! وينسى أيضاً جملةً: تصبحين على خير يقولها لها عندَ ذهابه إلى النّوم!

قبلَ شراءِ الجوّال كان عندَ هاني تسليّاتٌ خاصّة، تسمّيها أمُّه: جنّة الطّفولة، وهو يحبُّ ذلك الاسم، يوجدُ في جنّة الطّفولة مكتبةٌ صغيرةٌ فيها حكاياتٌ وأشعارٌ لطيفة، وقطُّ اسمه: شامو، وعددٌ من الدّمي المتنوعة، منها مثلاً: حصانٌ وسيف، وقطارٌ يمشي فوق سكّة، وهو يُغني:

اركب.. اركب
أحلى البلدان
أحلى الأسفار

ذات مساءً جلس شامو مع هاني، وبينهما حديثٌ يدور في العادة عن طريقِ العيون،
قال شامو بعدَ مواءٍ لطيف:

- لقد تغيّرت كثيراً يا هاني بعدَ حصولك على الجوّال! حتّى أمك تهملها!

وأخذ القبطُ يُذكّر هاني بأنّ أمّه تشتغلُ من أجله عملياً في اليوم، فهي بعدَ عودتها من الوظيفة
تجلسُ لتخيطَ الأثوابَ على ماكينةِ الخياطة! ومن التعبِ تنامُ أحياناً فوقَ ماكينتها!
تأثّر هاني، فهو يحبُّ أمّه كثيراً، ووعده القبطُ أن يتفرّغَ لمساعدتها، وأن لا يستخدمَ جواله أكثرَ من
ساعتين في اليوم.. ساعةً بعدَ الظهر، وساعةً في المساء.

أخذ هاني في تنفيذِ وعده، وبينما تركَ الجوّالَ مغلقاً في أحدِ الأيام سمعه ينادي:

- هل نسيّتي يا هاني؟! ألا تعلمُ أنّ عندي لعبةً مسدساتٍ جديدةً، اسمها: (فري فاير)؟

وعندي لعبةٌ أخرى مذهلة، اسمُها: بازُ كُور، فيها يقفُّ البطلُ فوقَ العمارات!

لم يستطع هاني أن يصمَدَ⁽²⁾، ففتحَ الجوّالَ، وأمضى ساعاتٍ، وساعاتٍ معَ الألعابِ الجديدة! ويوماً إثرَ آخرٍ أهملَ أمَّهُ تماماً، وأهملَ جَنَّةَ الطُّفولةِ، فامتلاً قلبُ شامو بالحزن، وراحتِ الكتُبُ في المكتبةِ الصغيرةِ تهمس: أينَ أنتَ يا هاني؟! وأسوأُ الأمورِ أنَّه في آخرِ السَّنَةِ الدراسيَّةِ حصلَ على درجاتٍ منخفضةٍ بينما كان سابقاً من المتفوقين!

وفي ليلةٍ ماطرةٍ جرى أمرٌ مؤلِّمٌ جداً! كان هاني ساهراً معَ جَوَّالِهِ صَيَّاحِ الذي فاجأه بلعبةٍ مُبتكرةٍ، اسمُها: روبُ لوكس، وفيها تحدياتٌ مثيرةٌ متنوعة، في تلكِ الليلةِ كانتِ الأمُّ المسكينةُ مريضةً مستلقيةً على سريرها، نادَتِ ابنتها ليأتيها بكوبِ ماءٍ كي تشربَ الدواءَ، فلم يسمع، لأنَّ كلَّ حوايسه كانت معَ جَوَّالِهِ! نهضتِ الأمُّ كي تُحضِرَ الماءَ بنفسها، فسقطتُ على الأرض!

رأها القط شامو، فَمَاءَ مواءٍ حزيناً، واندفعَ نحوَ غرفةِ هاني ينقلُ له الخبرَ. خَجَلَ هاني من نفسه خجلاً شديداً حينَ رأى أمَّهُ فوقَ البلاطِ، وشتَمَ الجَوَّالَ وألعاَبَهُ، ومن عينيه سالتُ دموعٌ حارَّةً. لحسنِ الحظِّ تحسَّنتُ صحَّةُ الأمِّ تدريجياً بعدَ أن أعانها هاني في تلكِ الليلةِ، فرشَّ الماءَ على وجهها، وساعدها على النهوضِ.

صحا هاني من ضياعه، كأنما اغتسل عقله بالماء، فعاد إلى تسلياته في جنّة الطفولة، وصار لا يفارق أمّه، ولم يعد يسمع صوت الجوّال، بل صوتاً دافئاً يترنّم:

أُمَّكَ كَنْزٌ.. أُمَّكَ نِعْمَةٌ

لا تسرق من فيها البسمة

كن زنبقةً بحديقتهَا

وبشرفيتها أحلى نجمةً

ثم جرى له تطورٌ آخر.. أصبح يستخدمُ الجوّال في أوقاتٍ محدّدة، وبطريقةٍ مختلفة.. فقد أنشأ على الوتس جماعةً من أصدقائه سمّاها: الفرسان، ومعناها مَنْ يُرَوِّضُونَ الجوّال⁽³⁾، ويضعونه تحت سيطرتهم بدلاً من أن يكونوا تحت سيطرته. صار للجماعة بعدَ شهور سمعةٌ طيّبة، وباتت تُقدّمُ النصائحَ للأطفال في استعمالِ الجوّال، وكما أنّ الوردَ الجوريَّ أميرٌ في دنيا الأزهار اتفقَ أعضاء الجماعةِ على اختيارِ هاني أميراً لهم!

كلمات جديدة:

(1) وَلَعُهُ: الوله: شدة التعلّق بالشيء.

(2) يصمد: يقاوم.

(3) يُرَوِّضُونَ الجوّال: يجعلونه مطيعاً مفيداً.



بطاقةُ المُعايَدة

في المكتبة فوق حاملِ كالبِرج الصغير اصطفَّت بطاقاتُ المُعيدة الملوّنة، وفوقها رسومٌ جميلة. كانتِ البطاقاتُ في حالةِ قلق، قالت بطاقةُ خضراءُ فوقها وردة:

- سمعتُ بأنَّ هناك طفلةً، اسمُها: مَاسَة تصنعُ في بيتها بطاقاتٍ أجملَ منا!

وقالت بطاقةُ فوقها زورق:

- وأنا سمعتُ بهذا. كيفَ تستطيعُ هذه البنتُ أنْ تتفوّقَ على الفنانينَ الكبار الذين صنعونا؟!

وأكدتُ بطاقةُ ثالثةٌ يظهرُ عليها عَلَم:

- الصغارُ والكبار يحكونَ عن جمالِ بطاقاتِها! ومَنْ ترسمُ له بطاقةً في عيد ميلاده مثلاً لا يُصدِّقُ ما يراه، فإذا كان في داخلِ البطاقة فراشةٌ فإنها تُحرِّكُ جناحيها، وتطير حوله، وإذا كان فيها بلبلٌ يفتح فمه، ويُغني!

لكنَّ بطاقةً رابعةً فوقها تمساح، قالت:

- هذا كله كذب. الأغلب أن أمّ الطفلة تحبُّ أن تتباهى بابنتها، فتنشَر هذه الأخبار!

وأيدت رأي البطاقة الأخيرة بطاقتان كبيرتان، إحداهما عليها نسر، والثانية عليها نمر.

اختلفت البطاقات فيما بينها، وكادت تتشاجر، بينما كان على الرف القريب ديوانٌ يشعر مليءً بالقصائد الجميلة فكَّر في المسألة، وفهمها، لكنّه لم يجد فرصةً ليقول رأيه، فظلَّ صامتاً!

بعد ساعتين عند العصر دخلت الطفلة ماسةً إلى المكتبة لتشتري للبطاقات التي تصنعها قطعاً من الكرتون، وأقلاماً من الشمع وأخرى من الخشب. أخرجت بطاقةً مرسومةً من حقيبتها، فوقها أرنب يعطيها صاحب المكتبة قطعاً كرتونيةً من الحجم نفسه. أعجب صاحب المكتبة بالبطاقة، وما كاد يحملها في يده لينظر إليها عن قرب حتّى قفز الأرنب منها، وأخذ يتحرّك بمرح حول البطاقات والأشياء الموجودة في المكتبة!

بعد ذهاب ماسة قالت بطاقة: أمرٌ غير معقول!

وقالت أخرى: أكادُ أجنُّ!

أمّا ديوانُ الشعر فابتسم قائلاً:

- المسألة بسيطة.. تتعلّق برهافة الأحاسيس يا صديقاتي البطاقات.

هتفتِ البطاقاتُ بصوتٍ واحدٍ:

- رهافةُ الأحاسيس؟! -

- نعم.. نعم، فقصائدي المرهفةُ تخرج مني أحياناً لتطيرَ أو تغرّد.

ازداد عجبُ البطاقات، فاهتَزَّتْ، وكاد بعضها يسقط من مكانه! بينما أخرج ديوانُ الشُّعر قصيدةً منه، وجعلها تطير، قال بعد ذلك:

- هذه البنْتُ لديها مشاعرُ صادقة أكثرُ من الفنانينَ الذين صنعوكنَّ أيتها البطاقات. إنّها ترسمُ كلَّ خطٍ من خطوطها بحب، وحين تُلوّن الرسمَ كأنها تأخذ الألوانَ لا من الأقلام، إنما من قلبها، وهكذا.. تصبح بطاقتهاُ ساحرةً، وكلُّ ما فيها حيٌّ يتحرّك!

هتفتِ البطاقاتُ كلّها:

- عاشتْ مَاسَةً أميرةُ المشاعر.



استقبالُ العمَّة

كان الولد سليم نائماً في غرفته، طريقة نومِه مضحكة.. إنه يغفو على طَرَفِ السرير بملابسه، الملابس مجعلكة، شَعْرُه منكوش، إحدى رِجْليه بحذاء، والثانية من دونِ حذاء! ابتسمتُ ساعة الحائط وهي تنظرُ إليه، ثمَّ شعرتُ نحوه بالعطف، فتأوّهت كأمّ، وتمنّيتُ أن تنزلَ من مكانها لتضعه في وَسَطِ السرير، وتُغَطِّيه.

مُكَيِّفِ الهواءِ الجديد انقلبَ وَشَيْشُهُ إلى ضحكةٍ غريبة: وُش..هَأْ، وُش..هَأْ، سألها:

- هيبه ساعة.. لماذا ينامُ سليم هكذا بثيابِ النهار؟!

- سليم.. أيها المُكَيِّفِ الجديد عندهُ بعدَ قليل مناسبةٌ حلوة، ستصلُ عمّته وردةٌ إلى المطار في الساعة صباحاً، و...

قاطعها المُكَيِّفِ بضحكته الغريبة: وُش.. هَأْ، وُش..هَأْ، قال:

- يذهبُ إليها بهذا المنظر؟! يا لطيف! ستهربُ منه أو تقعُ لها صدمة.

- أرجوك أيها المكيف لا تسخر، سليم ولدٌ مرتب، لكن هناك سبباً جعله ينام هكذا.

- سبب! أيُّ سبب؟!

قال المكيف ذلك، وظهر الاستفهام على وجهه المعدني، فأسرعت الساعة تقول:

- في بيتنا- مع الأسف- شخصٌ سيحاول أن يحرمه من الذهاب إلى المطار حتى لا يفرح باستقبال العمّة! سيقول الشخص لأبيه: سليم نائم، وحرامٌ أن نوقظه! لهذا.. سعى الولد أن يبقى مستيقظاً، لكنّ النوم غلبه، فرأيتُه يا صديقي بهذا الشكل المضحك!

امتلاً صدرُ المكيف بالتعجب، فصارَ هديره بهذا الشكل: وُش.. أف، وُش.. أف، قال غاضباً:

- ليت ذلك الشخص يكونٌ تحتِي الآنَ لأصبّ عليه أشدّ ما عندي من الهواءِ البارد ليرتجف، ويتجمّد، ويكفّ عن محاولاته.

ارتاحتِ الساعةُ للمكيف، فقالتُ:

- اسمعْ يا صاحبي لأحكي لك حكايةَ هذا الولدِ من أولها.. بعدَ وفاةِ أمّه جاءَ أبوهُ إلى

البيت بامرأةٍ أخرى، يسمونها: (زوجة الأب). كانتِ المرأةُ سمينَةً كبَطَّة، لكنَّها ليستُ طَيِّبَةً
مثلها! إنَّها لا تحرمُهُ من الطعامِ أو الشرابِ، أو من وسائلِ الراحة التي يُوفِّرها أبوه، لكنَّها
تُنغِّصُ عليه أموراً يحبُّها!

صارَ المكَيِّفُ طفلاً صغيراً أمامَ الساعة يريدُ أن يعرفَ منها بقيَّةَ الحكاية، فأكملتُ:

- الخبيثة تتظاهرُ بالحرصِ على تأديبه، فتُكثِرُ من الأوامر، وحينَ تعطي أمراً يرتعشُ
جفنها، فيرتعشُ قلبُ سليم كورقةِ شجر! إنها توقُّظُه كلَّ يومٍ عندَ الصباح، يرتعشُ جفنها
ثلاثَ مرات، تقرأُ عليه برنامجَ اليوم، وعليه أن يُنفِّذَ، ومعَ أنه يُطيعُها، لا توافقُ على رَغَبَاتِه
البسيطة! مثلاً: سليم يحبُّ الجواربَ البيضاء، تقولُ له وجفنها يرتعش: مستحيل، هذه
تتسخُّ بسرعة. سليم يَرُوقُ له أن يأكلَ في الحديقة مثلَ العصافير، يرتعشُ جفنها، تصيح:
قِلَّةُ أدب. ألم تتعلمُ في المدرسة أن الأكلَ في غرفةِ الطعامِ فقط؟! وفوقَ هذا كلُّه لم
أرها مرةً واحدة تلاعبُهُ أو تضمُّهُ إلى صدرها لتسمعَ دَقَّاتِ قلبه، وهكذا.. فسليم يشعرُ
بالضيق، ويتنقَّسُ عندما تحضُرُ العمَّة.

بعدَ صمتٍ قصيرٍ تابعت الساعة:

- آه.. أيها المكيف لو تعرف كم يحبُّ سليم العمّة وردة! حين يراها يقفزُ إلى عنقها كأرنب، يَظْمُر رأسه في صدرها، يتمسكُ برقبتها، وكأنه لا يريدُ أن ينزل! والعمّة متقدمةٌ في العمر، مصابةٌ بآلام الظهر، لكنها تُسندُ ظهرها إلى الحائط، وتُقَبِّله بلهفة وهي تضحكُ، وتبكي!

نفخَ المكيف، وكأنَّ قلبه احترقَ ألماً، قال:

- وما العملُ الآن؟ علينا أن نساعدَ سليماً ليستيقظَ في الوقتِ المناسب، ويذهبَ إلى لقاءِ العمّة.. يجبُ أن نساعدَهُ بأيِّ طريقة.

قالت الساعة:

- هذا ما أفكّر فيه، ولكنْ كيف؟

تبدّل صوتُ المكيف متأثراً بشدة تفكيره، ثمَّ قال:

- بسيطة. الحلُّ عندك. رُني جرسكِ باكرًا.

ردّت الساعةُ بخيبة:

- للأسف.. ليس لديّ جرس.

غَضَّ المَكْيِيفُ بحزنه، فانخفضَ صوتهُ حَتَّى كَادَ يتوقف، ثُمَّ همس:

- اتركي الأمر لي.

- ماذا ستفعلُ أيُّها المكيّف؟

كَرَّرَ جملتهُ السابقة: اتركي الأمر لي.. اتركي الأمر لي!

في الصباح أيقظَ المَكْيِيفُ سليماً بطريقةٍ بسيطة: زادَ درجةَ تبريده، فنهضَ الولدُ مرتعشاً متمتماً: (أخ، أخ)، غَسَلَ وجهه، ومَشَّطَ شعره، وفي السابعة تماماً كانَ في صالةِ المطار مع والدِه وزوجِه أبيه حيثُ استقبلوا العمَّةَ في الوقت المناسب.

حين عادوا جلسوا في صالة البيت، تركوا بابها مفتوحاً، فاستطاعت الساعةُ والمكيّفُ أن يشاهدا ما يحدث.. كان سليم سعيداً جداً متعلقاً برقبة عمّته كأرنب، يطبع قُبلاً كثيرةً على خدّها، وهو يقول: عمّتي خذي هذه قُبلة بطعم الكاتو، وهذه بطعم المرَبّي، وهذه بطعم السكاكر! بينما العمّة تضحك، وتقول: ما شاء الله. فمكَّ معملُ حلويات! فجأةً أضافت العمّة التي تعرفُ

مشكلة سليم: أذق من هذه القبل لأمك الغالية. كانت تقصد بذلك زوجة الأب!

كان الموقف غريباً، أو غريباً جداً، مرّت لحظات من التردد، فالطرفان سليم وزوجة أبيه لم يمرّا بأي تجربة حنان من قبل، لكنّ القبلة الأولى تمّت، ومعها حدث شيء عجيب. لقد ذاب جزء صغير جداً من الجفوة بين الطرفين، همست الساعة للمكيّف: ياه.. ما أحلى هذا المنظر!

هتف المكيّف: حقاً رائع!

أضافت الساعة: العمّة وردة ذكية جداً، وبالتدرّج- عن طريق المحبّة- تستطيع أن تجعل الأعداء أصدقاء!

أعلن المكيّف موافقته، لكنّه قال:

- أيتها الساعة الثرثرة دعينا الآن من كلّ هذا. أين كيس الهدايا؟ أين هو؟ نحن أصدقاء سليم، وعليه أن لا ينسانا.

ابتسمت الساعة، بدا عقرباها كطفلين مرحين يركضان خلف بعضهما، وامتلاً المكان كلّهُ بفرح ناعم يشبه فرح الدنيا بقدوم الربيع.

هواية جديدة

لُبْلُبَةٌ الصغيرة لها هوياتٌ كثيرة.

عدّها بعددِ الأزهار على ثوبها أو أكثر..!

والمشكلة أنها تتعلّق بالهوية سريعاً، و.. تتركها سريعاً!

قبل أشهر قالت: إنها تهوى الرقص، فأخذتُ ترقصُ وتقفزُ وتدور قائلةً لقطّتها: صفّقي.. صفّقي.

بعد ذلك قالت: إنها تهوى صناعةَ الدُمى.. صنعتُ من القماش والقطن قرداً مقطوعَ الذيل، وأرنباً سميناً كالبقرة، وزرافةً، لكنّها شعرتُ بالملل، فرمّتها جميعاً في زاوية الغرفة! أمّا آخُرُ هوياتها فهو الصحافة.. نعم الصحافة.

كيف تعلّقتُ بهذه الهوية؟

ربما سمعتُ شيئاً عنها في التلفاز.

ربما أعجبتُ بالصحفيّة التي زارت الحَيَّ حينَ نشبَ حريق⁽¹⁾ في أحدِ البيوت، فصارت تحلمُ

أَنْ تَصْبَحَ مِثْلَهَا تَحْمَلُ عَلَى كَتْفِهَا آلَةَ تَصْوِيرٍ مُعَلَّقَةً بِحِزَامٍ جَلْدِي، وَفِي يَدَيْهَا حَقِيبَةٌ، وَالنَّاسُ يَشِيرُونَ إِلَيْهَا قَائِلِينَ: هَذِهِ لِبْلَبَةٌ.. لِبْلَبَةُ الصَّحْفِيَّةِ الصَّغِيرَةِ.

أُمُّهَا وَأَبُوهَا يَضْحَكَانِ مِنْ هَوَايَاتِهَا الْكَثِيرَةِ، يَتْرِكَانِ لَهَا الْحَرِيَّةَ، لَعَلَّهَا تَكْتَشِفُ هَوَايَتَهَا الْحَقِيقِيَّةَ. فِي الْبَيْتِ جَلَسْتُ تُفَكِّرُ.. تَلْزِمُهَا ثَلَاثَةُ أَشْيَاءَ لِتَصْبَحَ صَحْفِيَّةً:

آلَةُ تَصْوِيرٍ.

حَقِيبَةٌ.

مَوْضُوعٌ.

آلَةُ التَّصْوِيرِ تَدَبَّرْتُ أَمْرَهَا.. اشْتَرْتُ مِنْ بَسْطَةِ الْأَلْعَابِ وَاحِدَةً مَصْنُوعَةً مِنَ الْبِلَاسْتِيكِ، وَلَهَا بَطَارِيَّةٌ وَضَوْءٌ يَلْمَعُ.

الْحَقِيبَةُ.. لَدَى أُخِيهَا الْكَبِيرِ حَقِيبَةٌ سُودَاءُ تُشْبِهُ حَقَائِبَ الصَّحْفِيِّينَ اسْتَعَارَتْهَا مِنْهُ، وَلَمْ يَبْقَ إِلَّا الْمَوْضُوعُ.

آه.. مَنْ أَيْنَ يَأْتِي الصَّحْفِيُّونَ بِمَوْضُوعَاتِهِمْ؟

هل يأخذونها مثلاً من كُتُبٍ قديمة؟

هل يأتيهم بها رجلٌ يشبه ساعي البريد، معهُ دراجة يرنُّ بجرسها، ويقول: خذوا موضوعاتٍ للصحافة.. رنْ، رنْ، خذوا موضوعات؟

تذكَّرتُ لبلبة أنها سمعتُ مرةً هذه الجملة: الكُتَّابُ والصحفيون يأخذونَ موضوعاتِهم من الحياة.

خرجتُ إلى حديقةِ المنزل، قالَ لها العصفور:

- اكتبي عني.. أنا موضوعٌ من الحياة.

قالت الشجرة:

- بل اكتبي عني.

قالت القطة (هَـرْهُوْرَة) التي تَلْحُقُ لبلبةَ إلى كلِّ مكان.

- دعي العصفورَ والشَّجرةَ، واكتبي عن القطط.

فتحت لبلبة فَمَها، ارتسمت على وجهها علامة استفهام، تمتمت:

- أكتب عن القلط؟! وماذا أكتب؟ عن كسلها؟ أم عن كثرة موائها؟

- لا.. يا لبلبة. اکتبي عن مشاكلها. مثلاً نعاني مشكلةً في هذه الأيام اسمُها: اللَّعِبُ الخَشن.

- اللَّعِبُ الخَشن؟! ماذا تقصدين؟

- ادخلي إلى الغرفة لأحكي لك ما جرى لي في أحد الأيام.

في الغرفة جلست لبلبة وراء الطاولة، بينما تمددت هَرْهُورَةً أمامها، وأخذت تحكي:

- ذات صباح لم تكوني في البيت، مرّ في الحي بائعٌ (عَزَلُ البنات)، سمعتُ صوتهُ ينادي، ويترنّم:

(عَزَلُ البنات.. يا عَزَلُ البناتُ/

جينا يا حلوين.. جينا يا حلواتُ).

قفزتُ إلى الحارة لأراقبَ البائعَ اللطيف، حلوى عَزَلُ البنات تُعجبني وهي في الأكياس بألوانها: أحمر، أصفر، أبيض مع أني لا أكلها. فجأةً قبض عليّ طفلٌ شرس، وضع في رقبتني حبلًا، وصاح فرحاً:

- يا سلام.. أنتِ حصاني.

حاول أن يركب ظهري!

شدّني، صرّبني! فنخرتُ في وجهه، وهربتُ منه، لكنّ الحبلَ حَزَّ رقبتي، وأنا أخفيتُ عنكِ هذه الحكايةَ حتّى لا تتألّمي.

كُتبتُ لبلبةَ الموضوع، وهي حزينّة من أجلِ قَطَّتْها، ثمّ جاءتِ بآلةِ التصوير لتصوّر القطة، فاكتشفتُ أنها مجردُ لعبة لا تلتقطُ الصور! صاحتُ هَرْهُورَةً غاضبة:

لا أسمحُ لكِ بنشرِ الموضوع إذا لم تكنِ صورتي بجانبه.

فكّرتُ لبلبة ماذا تفعل؟ لعبتُ بَعْرَةَ شعرها، ثمّ جاءتِ بأقلامِ التلوين، ورسمتُ، هَرْهُورَةً، ولمّا نجحتِ الصورة هتفتِ القطة:

مياو. هذه أنا.. هذه أنا!

قرأ أبوها ما كتبتهُ، صحّح لها بعضَ الأغلط، قال مداعباً:

- أين ستنشرين هذا الموضوع؟ في مجلة (بيس.. بيس) أم (نو.. نو)؟

رفَّت بأجفانها، وكأنها لم تُفكِّر في هذا الأمر، ثمَّ صاحت:

- سأنشرُهُ في مجلةِ الحائطِ المدرسيةِ.

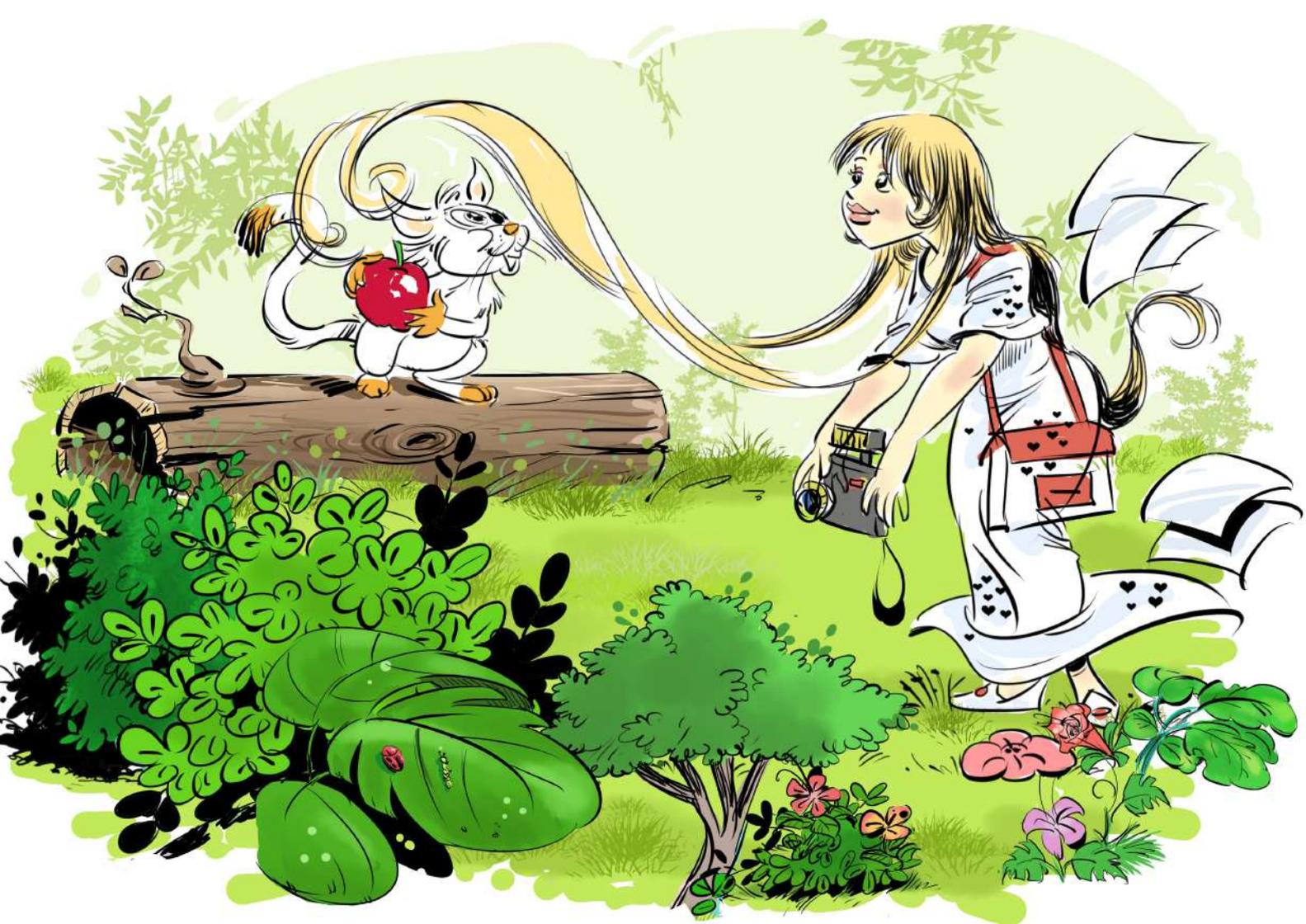
وضعتُ لبلبة الموضوعَ في الحقيبة التي استعارتها من أخيها، وعلَّقتُ على كتفها آلة التصوير رغمَ انزعاجها منها، وسارت أمامَ أبيها منفوخةَ الصدر، قالت:

كيفَ تراني الآن؟ ألسْتُ الصحفيةَ لبلبة؟

ضحكَ الأبُ قائلاً:

- إذا ملأتِ الحقيبةَ بموضوعاتٍ أخرى، ولم تتركي هذه الهوايةَ كغيرها، فقد تصبحين في المستقبل لبلبة الصحفية الماهرة.

كلمات جديدة
(1) نشبَ الحريق: بدأ، وثار، وارتفع.



شلهوبّ والببيض

يكره الطفلُ شلهوب بيّص الدّجاج.. يكرهه كثيراً، وعندما يذكره الأطفالُ أمامه يقلبُ وجهه، ويقول:

- غريب. كيف تحبونه أتم؟! -

بينما الطفلانِ عادلٌ وماسّةٌ يحبّانهِ جداً، ويريانِ البيوضَ في نومهما لها وجوه كالبشر وهي ترقص وتُغني!

ومنذ أيام زادت كراهيةُ شلهوب للبيض، فراح يرسمُه على دفتره بأشكالٍ قبيحة، لعل كلَّ الصغارِ يشاركونه في عداوته! رسمَ مثلاً بيضةً تخرج منها أشواك! ورسمَ أخرى لها ذيلٌ طويلٌ كذيل الفأر، ورسمَ بيضةً ثالثة لها أسنانٌ تعض!

رأى معلّم الرّسم في المدرسة دفتَرَ شلهوب، وعَلِمَ بحكايته مع البيض، فقرّرَ بينه وبين نفسه معالجة الأمر.

على مسرح المدرسة أعدَّ المعلمُ بعدَ مدةٍ تمثيليةً بطلُّها يكره بيضَ الدجاج، وكَلَّفَ شلهوباً نفسه أن يقومَ بالدور، فأتقنَ ذلكَ الدورَ أيَّما اتقان.. حتَّى كاد الأطفالُ الذين يشاهدونَ التمثيليةَ أن يكرهوا البيضَ مثلَ شلهوبٍ تماماً! وقد ظهرَ في التمثيلية، وهو يهجمُ على البيضِ بكوبٍ من المعدنِ ويقومُ بتكسييره بقفاه، كان يفعلُ ذلكَ وهو يُغني:

أنا شلهوبٌ.. أنا شلهوبٌ
ألقى البيضَ بهذا الكوبِ
آتي صباحاً، آتي ليلاً
لأكسِّره بالمقلوبِ

تألَّمَ البيضُ والدجاجُ من سلوكِ شلهوبٍ، فركبَ البيضُ ظهرَ صديقتِه السَّحابة التي تشبه لونه الأبيض، وهرَبَ من المدينة، أمَّا الدجاجُ، فقرَّرَ أن يتوقَّفَ عن إنتاجِ البيضِ مدةً أسبوعٍ كاملٍ! عندَ الصباح طلبَ شلهوبٍ من أمه في التمثيلية أن تصنَعَ له قالباً من الكاتو الذي يميل كثيراً لطعمه اللذيذ، فقالت له الأم:

- لا يمكن.

- لماذا يا أمي؟!

- لأنَّ هناك مادةً أساسيةً في صناعة الكاتو لم تعد متوفرةً الآن!

عند الظهيرة طلبَ شلهوب من أمه أن تقلي له أقرصاً من العُجَّة، فأتاه جوابُها:

- لا يمكن. هناك مادةٌ أساسيةٌ في صنعها لم تعد متوفرة!

في المساء رجاها أن تُعدَّ له صينيةً من البسيصة، فسمع منها الجوابَ نفسه:

- لا يمكن. هناك مادةٌ لم تعد متوفرة.

خرجَ شلهوب إلى شرفة البيت، رفع رأسه حزيناً إلى السماء، فمرَّت في تلك اللحظة السَّحابةُ التي تحمل البيض، قالت له بيضةٌ جميلةٌ لامعة:

- هل عرفتَ يا شلهوب ما هي المادةُ الناقصة التي منعت أمك من صنع الكاتو، والعُجَّة، والبسيصة؟

قال شلهوب: لا.

ضحكت البيضة، ثم شاركتها في الضحك كل البيضات الموجودات على ظهر السحابة، وأخيراً قالت:

- المادة الناقصة هي نحن البيض.. البيض الذي تكرهه!

تمتم شلهوب مذهولاً:

- غير معقول!

انخفضت السحابة حتى مستوى الشرفة التي يقف عليها شلهوب، وصاحت البيضات كلها:

- هذا لأنك جاهل، تأكل ولا تعرف تركيب المأكولات التي تتناولها.

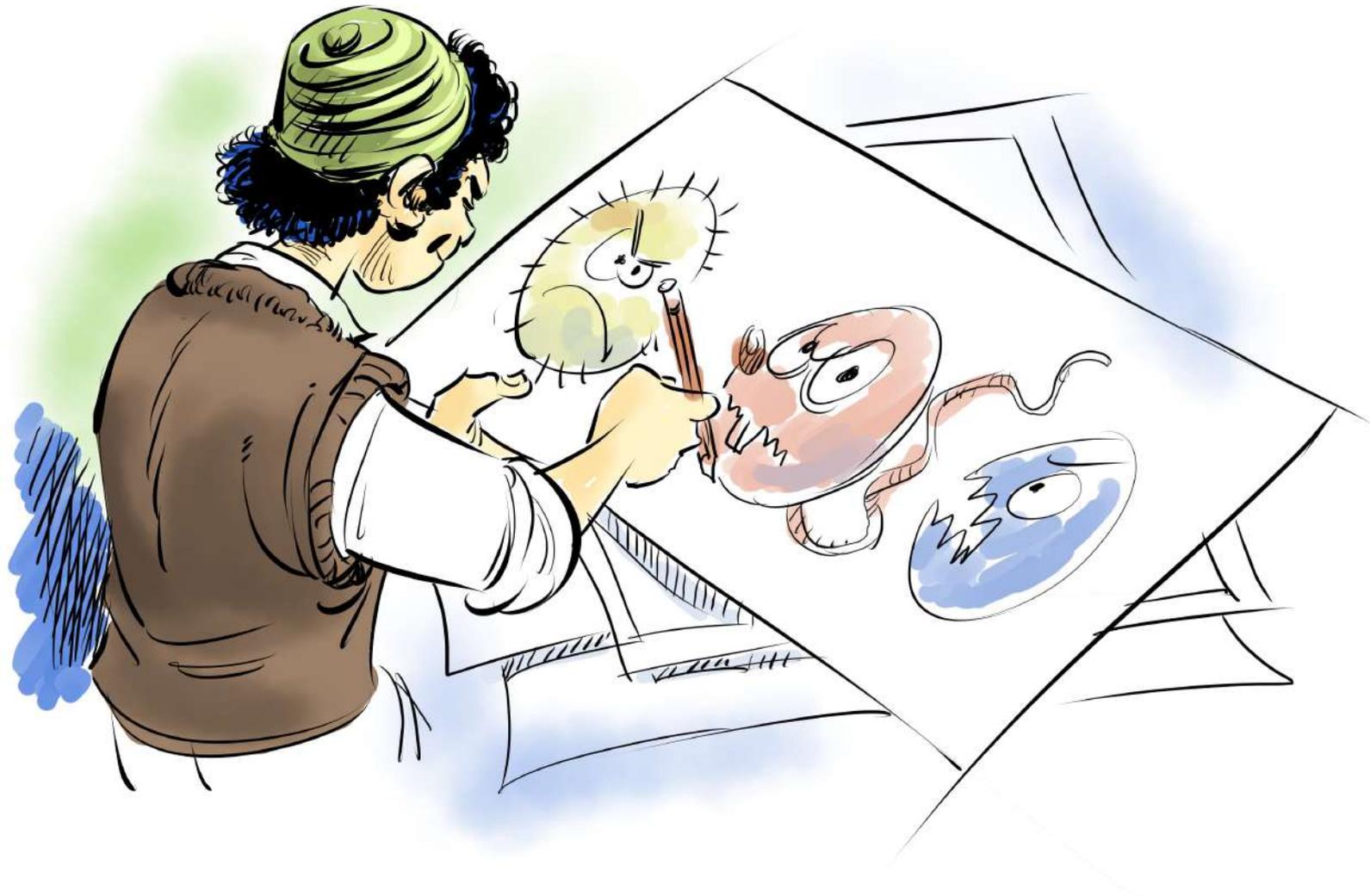
اعتذر شلهوب راجياً من البيض أن ينزل من فوق السحابة، ويعود إلى المدينة، لكن البيض قال:

- لا نرجع إلا بعد أن تعود إلى إحدى المجلات المخصصة للصغار، وتأتي من هناك بفوائد

البيض، تكتبها على ورقة، وتقرأها أمام الأطفال.

فعل شلهوب ما هو مطلوب، فذكر من فوائد البيض البروتين، والفيتامينات المتنوعة، والطاقة الحرارية التي يمنحها للجسم، ووقف في مقدمة المسرح في آخر التمثيلية وهو يُغني:

أنا شلهوب.. أنا شلهوب
أهوى البيض، هو المحبوب
طبّقاً من زهر أهديه
وأسميه أمير قلوب



شَدَا والفيل

تجلسُ شَدَاً فوقَ كرسيِّها المتحرِّك، تسمعُ أصواتَ الأطفالِ يلعبونَ في الحارة، ويقذفون الكرةَ بأقدامهم، فتتنظرُ إلى ساقِها العاجزتين، وتتألَّم.

تراها أمُّها، فتغصُّ، وتتذكَّرُ شلَلَ الأطفالِ الذي أصابها في طفولتها، فحرَمَها من اللعب، والجري، والرقص!

ولكي تُسَلِّي الأمُّ ابنتها اصطحبَتْها مرَّةً إلى حديقةِ الحيوان، فنشأتُ علاقةً جميلةً بينَ شَدَاً وبينَ فيلٍ طفلٍ، فتكررتُ زيارةُ شَدَاً وأمُّها إلى هناك. كانت شَدَاً تقتربُ من الفيلِ الصغير، فيمدُّ خُرطومَهُ من خلالِ الشَّبَكِ الحديدي، ويلاعبُها وهي جالسةٌ على كرسيِّها المتحرِّك! لاحظتُ أمُّها أنَّ هذه العلاقةَ تتطوَّر، فابنتُها أخذتُ ترسمُ الفيلَ على (الآبياد) المخصَّصِ لها، وتلوُّنُهُ، وتكتبُ تحتهُ كلماتٍ لطيفة، مثل: صديقي، حبيبي، أخي! ولاحظُ المسؤولُ عن الفيلِ أنَّ فيلَهُ معَ اقترابِ موعدِ زيارةِ صديقه يتتهجُّ كثيراً، وقُبيلَ وصولها بلحظات يندفعُ نحوَ الشَّبَكِ، وكأنَّهُ عَلِمَ بطريقةٍ روحيةٍ عجيبة أنها عَبَرَتْ معَ أمِّها من البابِ الخارجي للحديقة، وصارتا في داخلها! ثمَّ تطوَّرت العلاقةُ أكثر، فشَدَاً صارت تهتمُّ بجنسِ الفيلةِ كُلِّهِ من أجلِ صديقها، وأخذتُ تجمع

المعلوماتِ عن حياةِ الأفيال، وخصائصِها من الكتب، والنت!

وقد ترافقَ اكتشافُها للمعلوماتِ بأمرٍ طريفٍ مُبهجٍ، فقد اشترت لها أمُّها في أحدِ الأيامِ جرساً يدويّاً صغيراً تستعملُه لتناديها إذا كانت بعيدة، فصارت كلِّما حصلتُ على معلومةٍ تدقُّ جرسَها دقَّةً فرحاً!

دقَّتِ الجرسَ ذاتَ نهارٍ، فجاءتِ الأمُّ، فصاحتَ شَدّاً:

- ماما.. وزنُ الفيلِ يصلُ إلى 6000 كغ، وارتفاعُه قد يتجاوز 3 أمتار، ومعَ ضخامتِه الكبيرة لا يؤذي أحداً!

ودقَّتُه في نهارٍ آخرٍ، فقالت لأمِّها التي حضرتُ:

- هل تعرفينَ يا أمي؟ يتغذى الفيلُ على الأعشاب، والفواكه، ولحاءِ الشَّجر، ولا يفترسُ الحيواناتِ الضعيفةَ كما تفعلُ الأسودُ، والنُّمور!

ودقَّتُه دقاتٍ كثيرةً في نهارٍ ثالثٍ، وأخبرت أمِّها:

- أمَّاهُ.. يحبُّ الفيلُ النِّظافةَ والاستحمامَ، يملأُ خُرطومَه بالماء، ويسكُبُه على جسمه، وهو

يعيشُ معَ الأفيالِ الأخرى في جماعاتٍ، وقد يخفُّ من سرعته إذا كان في القطيع أفيالٌ
مُسِنَّةً أو مريضة. الله كم هو طيِّبٌ، وحنون!

والأعجبُ مما سبقَ أنها صارت تقيمُ مسابقاتٍ لصديقاتها وأصدقائها الذين يزورنها في البيت،
فتوجِّه لهم أسئلةً تتعلَّقُ بالفيلة، فإذا عرفوا كافأتهم بقطع السكاكر اللذيذة، وإذا لم يعرفوا
كشَّرتُ في وجوههم، ومن أسئلتها لهم:

كم مدةَ الحملِ عندَ الفيلة؟

لم يعرفوا، فقالت: عامانِ يا كسالى.

من أسئلتها أيضاً: كيف تحصلُ الفيلةُ على الأملاح والمعادنِ اللازمةِ لغذائها؟ أجابت إحدى
الصديقات: من البيض.

ضحكت شذاً حتَّى اهتزَّ كرسيُّها، ثمَّ قالت: أيُّ بيض؟! تحصلُ الفيلةُ على الأملاح والمعادنِ بأنْ
تحفرَ الأرضَ بأنيابها، ثمَّ تأخذُ شيئاً من الترابِ تضعُه في فمها.

بعد هذه المسابقات صار الأصدقاء والصديقاتُ يلقَّبونها بشذا عالمةِ الأفيالِ الصغيرة!

وذات يوم حدث ما يشبه المعجزة، فبينما كانت سَذاً في زيارة صديقها الفيل الصغير الشقيّ في حديقته، وكان هو يلاعبها بخُطومه وهي في ذروة الاندماج معه رفَع خُطومهُ عالياً، فنهضتِ الطفلةُ المعاقةُ لتمسك به، فإذا هي واقفةٌ على قدميها! ومع بعضِ جلساتِ المعالجة الفيزيائية⁽¹⁾ عادت تسيّرُ على ساقِها بشكلٍ طبيعيّ!

غمرَ أسرةَ سَذاً فرحٌ كبيرٌ لا مثيلَ له، قال الأب:

- سأذهبُ إلى هذا الفيل، وأقبّلُ خرطومَهُ ألفَ مرةٍ ومرة.

وقالت عمّتها هنيئة: حينَ يرزقني اللهُ سأفتحُ له عيادةً على حسابي، وأسمّيه: مَلِكُ الأطباء.

وصاح أخوها بسام: سأستضيفُهُ في غرفتي، ولو حطّمَ محتوياتها بجسمه الثقيل.

وقالت أمّها:

- ليتني أستطيعُ النظرَ إلى داخلِ قلبه، ففي ذلك القلب شيءٌ شفى ابنتي، وهو أعظمُ من اللؤلؤ والياقوت، شيءٌ اسمه.. اسمه. هل تعرفونَ ما اسمهُ يا أطفال؟

كلمات جديدة:

المعالجة الفيزيائية: طريقةٌ طبيّةٌ تعتمد على تحريك الأعضاء بطريقة مننّمة كالحركات الرياضية.



ضحكُ الأميرة

كان ياما كان في قديم الزمان أميرةً طيبةً محبوبة، اسمها: (سَحَر)، ومع طيبة القلب كان لها ضحكةٌ عجيبةٌ ساحرة، حينَ تضحكُها يحدثُ أمرٌ لطيفٌ غريب.. تنزلُ الطيورُ من السماء رفوفاً.. رفوفاً لتستمعَ إليها!

ضحكةُ الأميرة تجعلُ الطيورَ ترقصُ من حولها، وترفرِفُ بأجنحتها كأنَّها تُصَفِّق! وحينَ تنتهي ضحكتُها تقفزُ الطيورُ في أمكنتها كأنها تطالبُها بضحكةٍ ثانية!

بدأ خبرُ الضحكةِ العجيبةِ ينتشرُ حتَّى خارجَ إمارتها، فأحبُّها كلُّ مَنْ سمعَ بها إلا رجلاً واحداً. الرَّجُل هو الأميرُ (غالب) حاكمُ البلدِ المجاور! احمرَّت عيناهُ، ودارَ في مكانه، ولأنه صيَّادٌ تمنى لو كانت الضحكةُ طائراً ليطلقَ عليها سهماً من سهامه! و(غالبٌ) هذا معروفٌ بالعنف.. بالحمافة، إذا تعتَرَّ بكرسيٍّ ضربَهُ بسيفه!

لم يكنِ الأميرُ ليهتمَّ بضحكةِ (سَحَر) لولا أنها أثرتُ على أمرٍ يحبُّه كثيراً هو: الصَّيد. كانَ يخرجُ إلى الغابةِ مرَّةً أو مرتينِ في الأسبوعِ بصحبةِ سهامه، وحينَ يعودُ تكونُ جعبتهُ مملوءةً

بطيورٍ ميته يقيها بالسَّمن، ويلتهمها.

لاحظ (غالب) أنَّ صيدهُ يتناقص..

من ثلاثين طائراً.. إلى عشرين.. إلى عشرة.. أو إلى لا شيء! وهو حتَّى ذلك الحين لا يعلم شيئاً عن ضحكةٍ سَحَر.

سأل وزيره عن الأمر، فتلعثمَ الوزير (بدر)، ثمَّ قدَّمَ له سبباً غريباً، قال:

- كيف تجدُ طيوراً يا مولاي؟! وفي البلدِ المجاور.. ماذا أقول؟ في البلدِ المجاور أميرةٌ تضحك فإذا بالطيور تتركُ السَّماءَ، وتتجمَّعُ حولَ ضحكيتها!

صاح الأمير: ماذا؟!

ومعَ صيحتِهِ اتسعتْ عيناهُ، وظهرَ فيهما التعجُّبُ الشديد، فأكملَ الوزير بعدَ لحظةٍ صمت:

- يقولونَ يا سيدي: إنَّ النَّهرَ يتوقَّفُ عن جريانه ليستمعَ إليها! الرَّعدُ يهدأُ في السَّماءِ، ال...

قاطعهُ الأمير:

- كفى.. كفى. اذهب واغسل وجهك. يبدو أنك دائخ يا وزيرنا، ولا تدري ما تقول!

وهكذا.. كذَّبَ غالبٌ في البداية ما سمعتُ أذناه، لكنَّه بعدَ أيامٍ قليلة وجد نفسه أمامَ أمرٍ لا يمكنُ تكذيبه، فالأخبارُ صارت تأتي من كلِّ مكانٍ عن تلك الضحكة! وانتشرَ خبرها حتى بينَ الأطفالِ في إمارته، فأخذوا ينسجونَ حولها الحكايات، ويحاولونَ تقليدها!

عندئذٍ جُنَّ جنونه، فالطُّيورُ التي تنجذبُ لضحكةِ الأميرة ليست طيورَ بلدها فقط، لكنَّها من جميع البلادِ المجاورة بما فيها بلده! وهو ماذا سيصيد بعدَ الآن؟ هل يمكنُ أن تتخلَّى معدته عن استمتاعِها بالتهامِ الطُّيور؟! ومعَ فورةِ غضبه استدعى الوزيرَ، وهتَفَ به:

كيفَ تفعلُ الطيورُ ذلكَ يا (بدر)؟! مَنْ سمحَ لها؟ مَنْ أعطاهَا الإذن؟

ارتبكَ الوزير، ثمَّ أجابَ متمتماً محاولاً إرضاءَ الأمير:

- الطُّيورُ- لا سامحَها اللهُ- رؤوسها صغيرة، وكذلك عقولها.. لهذا فهي تتصرفُ بحماقةٍ يا مولاي!

أضاف: لو كانت عاقلةً لفعلتِ العكس.. كُنَّا نجدها تهاجرُ من بلدِ الأميرة لبلدنا كي تكونَ صيداً

لسيادتكم.

ضربَ غالب مزهريَّةً بيده، فحطَّمتها، صاح:

- لم تكتفِ تلك الأميرةُ الخبيثةُ بطيورِ بلديها يا بدر، بل خطفتُ طيورَ بلدنا أيضاً!
لعل الأمرَ غيرَ مقصودٍ يا مولاي.

- بل هي تريد أن تحرمَني من الصَّيد! يا لطيف اللصوصِ يسرقونَ من الأرض، و(سَحَر) تسرقُ من السَّماء!

- بماذا تأمرونَ يا سيدي؟

- لن نسكتَ يا بدر.. لن نسكت؟

أوَّلُ ما فَعَلَهُ الأمير (غالب) أَنَّهُ حاولَ أَن يَجذبَ الطيورَ إلى ضحكاته.. فذاتَ صباح استحمَّ، وتعطَّر، ثمَّ صعدَ إلى سطحِ قصره المبنِيِّ بالذهبِ والرُّخام ليضحكُ هناك! وقبلَ صَعُودِهِ غنَّت له الجوقةُ هذه الأغنية:

« أميرنا، أميرنا
رباه ما أقواه!
في صحونا نحبّه
في نومنا نراه».

بعد ذلك أطلق (غالب) ضحكاته بكلّ الأنغام: (ها.. ها.. ها)، (هُؤ.. هُؤ.. هُؤ)، (هي.. هي.. هي)،
لعله يجذب الطيور، كما تفعل سحر، لكنّه عاد بصوتٍ مبحوح دون أن يجذب أيّ طائر!
جرب بعد ذلك وسيلةً أخرى.. أمر أن تُرشّ بكثرة حبوب القمح والذرة في الغابة، وعلى أسطح
المنازل، لعل الطيور تنجذب إلى طعامها المفضّل، فتعود، لكنّها لم تعد!
عندئذٍ وجد نفسه يبعث رسالةً تهديدٍ لجارته:

ضحكتك أيتها الأميرة تزعجنا، وقد أساءت إلينا، ضعي حدّاً لها، وإلا...
جاء ردّ الأميرة هادئاً: الضحكة ليست ذنباً. لو كانت ذنباً لاعتذرنا إليك.
دخل (غالب) إلى غرفته محطّم الأعصاب ذات مساء..

أخذ يسمعُ أصواتَ طيورٍ تنبُعُ من زوايا الغرفة، تأتي بعدها ضحكةٌ عجيبةٌ تبتلعُها! سلَّ سيفه،
أغمده، ثمَّ أخذَ وضعيةَ الصيِّاد، وكأنَّه سيطلقُ سهماً على الضحكة، ليقتلها!
في اليوم التالي فعلَ أمراً عجيبيّاً..

اصطحبَ وزيرهَ إلى منطقةِ الحدودِ بينَ بلدهِ وبلدِ الأميرة، قال:
خطرَ لي فكرةٌ عظيمةٌ ستمنعُ بقيةَ طيورِ بلدنا من الهجرةِ إلى بلدِ (سحر).
ما هي يا مولاي؟

جدار. سنبنى هنا جداراً عالياً جداً تعجزُ الطيورُ عن اجتيازه.
كاد الوزير يضحك من صغرِ عقلِ الأمير، لكنَّه قالَ مجاملاً:
- فكرةٌ ممتازةٌ يا سيدي، لكن..

- لكن.. ماذا؟

- قد تشعرُ الطيورُ اللئيمةُ أننا نتحدّثها، فتتحدّثانا بعبور الجدار.. حتّى لو وصلَ إلى الغيم،
ونكايّة بنا قد تُلَطِّخُ أعلاهُ بسَقَطِها وأقذارها!

- ماذا؟! وهل تجرُّ الطيورُ على عبورِ جدارٍ بناه (غالب)؟!!

- للأسف.. قد تفعلُ ذلك. الطيور قلَّ أدبُها كثيراً هذه الأيام! صارت وقحة! لو كانت أمامي
لنتفتُ ريشَها، وقصصتُ ذيولَها.

- ما الحلُّ إذن؟

- الحلُّ بسيط.. الأميرة (سَحَر) تضحك لأنها سعيدة. علينا أن نعرفَ سببَ سعادتها، ثمّ..
نُفسِدَه عليها.

صاح (غالب):

رائع!



في بلد الأميرة المناظرُ بسيطةٌ، لكنَّ كلَّ مَنْ يراها يحُبُّها بسرعة! كيف ذلك؟ لم يستطع
(فُلُفُل) جاسوسُ الأمير أن يفهم.

سارَ يتأمَّلُ، ويفكِّرُ في مُهمته.. أن يعرفَ سببَ سعادةٍ (سَحَر).

مرَّ بزهرةٍ (فيم السمكة)، فسمعها تقول: مرحباً!

مرَّ ببيوتٍ من حجرٍ رخيص، لكنَّ حيطانها تشبهُ وجوهاً طيبةً تهمسُ لك: هنا الرَّاحة.. هنا الأُنس.

رأى قطةً وكلباً يلعبان، ويتمازحان، وكأنَّهما نسيا الخلافَ الدائمَ بينَ الكلابِ والقطط!

قصرُ الأميرة نفسه لم يكنُ من الرُّخام.. كانَ من الخشب!

القصرُ يتربّعُ على ظُهرِ تلةٍ، وله تاجٌ من الغيم، كأنَّه نزلَ من السَّماء!

اختبأً (فُلُفُل) خلفَ شجرة.

على الدَّرَجِ رأى صبيَّةً، تلبسُ ثوباً أزرق، تسقي الأزهار، ظنَّها من العاملاتِ في القصر، فإذا هي

(سَحَر)!

فجأةً انطلقتُ موسيقا لم يسمعُ مثيلاً لها في حياتِه!

نظرَ (فُلُفُل) جيداً، عرفَ مصدرَها..

لقد ضحكتُ (سَحَرَ) عندما دغدغَ رقبتَها غصنٌ نازلٌ من شجرة!

معَ الضحكةِ سمعَ رفيفَ أجنحة، ثمَّ أقبلتُ ترقصُ حولَها الطيور!

بعدَ قليلٍ اقتربتُ من القصرِ امرأةً بائسةً، معَها طفلٌ ثيابهُ سوداء. هتفتُ: سيدي.

تركتُ الأميرةَ سقايةَ الأزهار، فدنتُ منها المرأةُ، قالت:

عندي مشكلةٌ صعبةٌ.. البارحةَ أحرقتُ شرارةً نارَ بيتيَ كلَّه!

حزنتُ الأميرةَ، ثمَّ قالتُ باسمه:

مادمتِ سالمةً أنتِ والعائلةُ، فالمسألةُ سهلةٌ.. سنعطيكُم بيتاً آخر.

أخذَ الطفلُ يدورَ فرحاً حولَ الأميرةَ، فأطلقتُ ضحكةً رائعةً، رقصتُ لها الطيورُ، ودارتُ فوقَ

الأميرة والطفل!

بعدَ المرأةِ أقبلَ فلاحٌ، قال:

- عندي أمرٌ عسيرٌ.. جدولُ الماءِ بعيدٌ عن أرضي، وما في الجيبِ لا يكفي لشقِّ ساقية.

قالت الأميرة:

هذا سهلٌ.. سهلٌ جداً.. سنساعدك في شقِّ الساقية.

عقدتِ الفرحةُ لسانَ الفلاح، قال: (سُكراً.. سُكراً) بدلاً من (شكراً)! فضحكت الأميرة (سَحَرَ) ضحكةً أعذبَ من ضحكتيها السابقتين، وكان رقصُ الطيور هذه المرّة أحلى وأعجب!



قالَ (فُلْفُل) للأمير عندَ رجوعه:

(سَحَرَ) سعيدةٌ يا مولاي، لأنها تقضي حوائج الناس.

احمراً وجهه غالب، صاح:

ماذا؟!

- هذا ما رأيته يا سيدي، والأهمُّ أنَّ مَنْ يسمعُ ضحكَتها لا يستطيعُ أنْ ينساها! كأنَّ تلك الضحكة تربطُ قلبه بخيط يشدُّه إليها!

بعدَ انصرافِ (فُلُفُل) جلسَ الأميرُ وحيداً. الأفكارُ تدورُ في رأسِه وتَفور، كما يفورُ الماءُ فوقَ النار، أخذَ يتمتم:

« ما الذي قاله (فُلُفُل): قضاءِ الحاجاتِ سعادة؟! لا..لا. مستحيل. إذا كانت (سَحَر) تفعلُ ذلك فهي مجنونة، غبيّة، ضالّة! لا..لا. قد تكونُ مأكرة، تريدُ أنْ تلعبَ بعقولِ الناس، مثلما فعلتُ بالطيور!

ماذا قال (فُلُفُل) أيضاً؟ ضحكُها لها خيط! يا لطيف.. ضحكة لها خيط!! آه.. يا (فُلُفُل) أنتِ تيس! (بدر) تيسُ أيضاً! وأنا.. أخ يا رأسي!»

عندَ العصر أخذتُ جوقةَ القصرِ تغني لـ(غالب) أغنيةً جديدةً للتخفيفِ عنه:

« تِري لي لم

تِر لي لي لم
قولي يا وردة
لأميرنا: مساء الخير
قلها يا بلبل
يا نهْر
إنه يستحقها
قبل الجميع
ارقص حولَه يا نسيم
إنه يستحق رقصك
قبل الجميع
تِر لي لي لم
تِر لي لي لم.»



في إحدى الليالي خرج رجلٌ غاضبٌ نحوَ بلدٍ (سَحَرَ).
إنه (غالب). منظرُهُ غريب. لقد تخفَى، فتحوَّلَ من أميرٍ إلى واحدٍ من العامة، ثيابهُ رخيصة! أمَّا
عيناهُ فحمرًا وانٍ مرعبتان!

كان ينوي شرًا، وقد وقعَ أمرٌ زادَ غضبَهُ من جارته الأميرة!
لذا أخذَ يقولُ في نفسه: سأَتخلَّصُ من (سَحَرَ). سهمٌ واحدٌ يُريحني منها.
لن أتركَ غيري يقتلها. أنا سأقومُ بذلك.

سارَ بسرعةٍ فوقَ الأعشاب، والطُّرقِ الترابية، والصخور.. يقفزُ، ويركضُ، ويتسلَّق وهو يفكِّر في
عدوّته:

الخبیثة لا تفعلُ شيئاً سوى أنّها تضحك!
سلاحها ضحكُها.. سلاحٌ من حرير.. من أنغام!
ب(ها.. ها.. ها) خطفتُ طيورِي!

ب(ها..ها..ها) فعلتُ ما هو أفظع.. خطفتُ عقلَ (فُلُفُل)! فبعدَ عودتِهِ إلينا، قضى شهراً واحداً،
ثمَّ فرَّ إلى بلديها!

قبلَ هروبهِ قالَ لَمَنْ حَوْلَهُ: العيشُ في بلديها أحلى. إنَّها أميرةٌ رحيمة، وأنا ظالمٌ وقايس!

ربما يهربُ آخرون، فأبقى أميراً وحيداً بلا طيور، وبلا ناس!

وصلَ الأميرَ (غالب) إلى بلي (سَحَر)، فوجدَ الناسَ مشغولينَ بأمرٍ غريبٍ هو: عيدُ استحمامِ
الطيور!

أوقفَ أحدهمُ، سألهُ عن الأمر، فقال:

- عيدُ استحمامِ الطيور من أحلى أعيادنا. يا سلام! هناكَ عندَ الجبلِ خبيرٌ بالطيور، يملأُ
بماءِ الشلالِ بحيرةً صناعيةً في فصل الربيع، ثمَّ يدعو الخبيرُ بأسلوبه كلَّ طيور البلد، فتأتي
لتستحمَّ وتلعبَ مدةً سبعةِ أيام. في اليوم السابع تأتي الأميرة لتتفرَّج، وتبارك ما يجري.

همسَ (غالب) لنفسه في سخرية: لا ينقضهم إلا أن يُعطوا الطيورَ ليفةً لتستحمَّ بها! ما أصغرَ
عقولهم، وعقلَ أميرتهم!

انطلقَ (غالب) معَ الناسِ إلى مكانِ البحيرة، فقد صادفَ أنَّ اليومَ الذي جاءَ فيه هو اليومُ السابعَ لعيدِ الاستحمام.

كانَ الجميعُ ينتظرونَ قدومَ الأميرة، وقد جاءتْ على عربة، وعندَ وصولها نزلتْ وفي يديها صينيةٌ مملوءةٌ بحبوبِ القمحِ والذرة. ملأتْ كَفَّها، ونثرتهُ في الهواء، وكأنَّها تقولُ للطُّيور: مرحباً.

اندفعتِ الطُّيور تلتقطُ الحَبَّ من الهواء.. من الأرض.. من فوقِ الماء.

ثمَّ بدأ مهرجانٌ فريدٌ.. أخذتِ الطُّيور تستعرضُ رشاقتها.. فبعُضُها شكَّلَ في السماء حلقاتٍ دائريةً كالراقصين! وبعُضُها تعلَّقَ بذيولِ بعضِ آخر، كأنَّه عناقيدٌ متدلِّية! وقسمٌ آخرُ انقضَّ على البحيرة في حركةٍ هبوطٍ وصعود! وقسمٌ رابعٌ ملأَ مناقيرَهُ بالماء، ورشقَ الأميرةَ لمداعبتها، أو كأنَّه يريدُ أن يصنعَ لرقبتها عقداً من حُبيباتِ المياه!

كانَ الأميرُ (غالب) مُختبئاً في مكانٍ قريبٍ من الأميرة ويدهُ تمسكُ بقويسٍ، فيها سهمٌ مسدَّدٌ نحوها.

ما أعظمُ أن يقتلها في هذا اليوم.. في ذروةِ فرحتها!

انهمرتْ في الجو فجأةً موسيقا ساحرة.. كأنها ضفيرةٌ من زقزقةِ البلابل، وعزفِ الكمنجات،

وخريرِ الشلالات!

ترنَّحَ الأمير. ماذا هناك؟!

لقد ضحكتُ (سَحَرَ) حين داعبْتُها الطيور.. ضحكتُ مراتٍ ومراتٍ!

دخلَ الفرْحُ إلى قلبِ الأمير رغماً عنه، ليس فرحاً فقط.. إنه شيءٌ أكبر! تراختُ أصابعه عن سلاحه فجأة، سقطتُ منه القوس، وبقيَ السهمُ في يده اليمنى! ثم.. شعرَ بذراعيه تخفقانِ قُربَ كتفيه، كأنهما جناحان!

أخذهُ الجناحانِ إلى الأمام.. إلى مركزِ الضحكات، فوجدَ نفسهُ أمامَ الأميرة، والسهمُ مازالَ في يده! أحاطَ به الحُرَّاس، قبضوا عليه، أخذوا ما في يده، بينما توقفتِ الأميرةُ عن الضحك، صاحتُ به:

مَنْ أنتَ؟!

ردَّ خائفاً، مرتبكاً:

- أنا.. أنا.. أنا.

- مَنْ أَنْتَ؟ قَل.

أنا (غا.. غا).

(غا.. غا). مَنْ؟

أنا (غالب) أميرُ البلدِ المجاور.

- أنت غالب! أميرُ البلدِ المجاور! معقول؟! لماذا أنت هنا؟! وكيف أتيت؟!

تمالك (غالب) نفسه، ثمَّ قَصَّ عليها قِصَّتَهُ وعيناهُ إلى الأرض، وفي النهاية قال:

- هذا رأسي افعلي بي ما تشائين. أنا أستحقُّ العقاب، ولكن.. أرجوكِ أيتها الأميرة قبل ذلك أن تجيبيني على سؤالٍ واحد.

سألته سَحَرَ: ما هو سؤالك؟

- أن تقولي لي.. ما سرُّ ضحكتكِ هذه؟ أريدُ أن أعرف. لقد سَحَرَتِ الطُّيورَ والناس، وسحَرْتَنِي أنا أيضاً، مع أنني قادمٌ لقتلك!

ابتسمت الأميرة، قالت بتواضع:

- لا..لا. أنتَ تبالغُ أيُّها الأمير. ضحكتي ليستُ كما تصف. يكفي أن تقول: إنَّها حلوة، وحلاوتُها تأتي من أمرٍ بسيط، هو أنني حينَ أضحكُ لا تخرجُ ضحكاتي من قلبٍ واحد، إنما من قلوبٍ كثيرة.

ارتسمَ على وجهِ غالبٍ أكبرُ علاماتِ الدهشة، تمتَمَ مأخوذاً:

- قلوب كثيرة! عندك قلوبٌ كثيرة تُخرجين منها الضحكات؟! كيف؟! من أين جئتِ بها؟!!

صار وجهُ الأميرة رائعاً، وهي تقول:

- المسألة بسيطة.. كلما أسعدت إنساناً قدَّمَ لك أعلى ما لديه: محبته وقلبه. قلبٌ محبٌ من فلان، قلبٌ محبٌ من فلانة يصبح عندك قلوبٌ كثيرة، ومنها جميعاً تخرجُ أنغامٌ حلوة.

فكَّرَ (غالبٌ) بما سمعه، وحينما فهمَ المقصودَ شَعَرَ بالندم على أمورٍ كثيرة فَعَلَهَا في حياته.

أشفقتُ عليه الأميرة، فصفحتُ عنه، وانصرفتُ لتتابعَ ما بقيَ من عيدِ الاستحمام.